السنة الثانية — العدد ١٧ — ١ ايلول سنة ١٨٩٩

المشرق

منارة الساعة العربية في بيروت

للاب لويس شيخو اليسوعي

جمعت بيروت في عهدنا من المفاخر. ما لو قُسِم على كثير من البلاد لأولاها المجد الباهر. واكسبها الثناء العاطر. لها الحسن الفتّان. والمنظر الآخذ بالجنان. هواؤها مستطاب. وماؤها اعذب من الشراب. هي موسم التجّار. ومُستراد جواري البحر من كل الاقطار. مدارسها بالعلوم زاخرة. ومعابدها بالمناسك زاهرة. لها في التاريخ المقام الاثير. والذكر الخطير. كما يصبو اليوم الى محاسنها كل نقّاد بصير

ومع كلّ هذه الاوصاف الفريدة. والخواصّ العديدة. كنت ترى السيّاح الذين يتفقّدون اصقاعنا السوريّة. يتمنّون لو وجدوا في بيروت شيئاً من البنايات العربيّة. يجديها رونقاً. ويزيد في شذاها عَبقاً. فلمّا عُهد بزمام التدبير. الى عطوفتلو رشيد بك افندي ملاذ ولايتنا وعلَمها المنير. اسرع الى تحقيق هذه الاماني. باقامة اثر ليس لهُ في البلدة ثاني. يُنظم مع التحف في سِلك المباني. فطلب الرخصة من ذوي الامر في الاستانة العليّة. بان تبني الدائرة البلدية من مخصصاتها منارة كبيرة على الهيئة الشرقيّة. لتُجعل فيها ساعةٌ كبيرة دقّاقة لتعريف الاوقات العربيّة. فما لبثت الارادة السنيّة ان وردت مؤذنة بمباشرة هذا العمل المحمود. الذي خرج اليوم الى حيّز الوجود

ولمّا كان هذا الاثر الجليل. ممّا يستوجب لاصحابهِ الشكر الجليل. ويعود على بلدتنا بالثناء الجميل. احببنا ان نصف لقرّاء المشرق. ما افادناهُ القوم الثقة عن هذا العمل الموثّق. نخصّ منهم بالذكر جناب مهندس البلديّة رفعتلو يوسف افندي افتيموس وفتوتلو مصطفى افندي قبّاني فنقول:

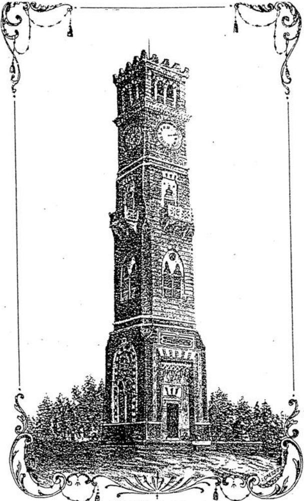
ما فتئ ملجأ الولاية حين بلغهُ رضى الباب العالي ببناء البرج المنويّ حتى بادر الى

تشكيل لجنة تقوم بشؤون هذا المشروع الخطير وتنهض باعبائهِ الى غاية كمالهِ . فتألَّفت اللجنة المذكورة برئاسة قومندان الموقع سابقًا عصمت باشا من اعضاء لجنة الانشاءات العسكريَّة اعني صاحبي العزَّة عُمَر بك بيكباشي طابور البشنجي التاسع وخيري بك طبيب اول في المستشفى العسكري وصاحب الرفعة قول اغاسي حسين بك وفتوتلو مصطفى افندي قبَّاني وأُضيف اليهم سر مهندس النافعة عزتلو بشاره افندي وعضوان من مجلس البلديَّة وهما مكرمتلو الشيخ طـه افندي النصولي (الذي خلفهُ بعد نقلهِ الى محكمة الاستئناف رفعتلو محمَّد امين افندي البربير) ورفعتلو جرجس افندي الشويري ورفعتلو مهندس البلدية . ولا يسعنا هنا السكوت عن همَّة صاحب السعادة عبد القادر افندي قباني رئيس المجلس البلدي فانهُ قد سعى مع حضرة سعادتلو عصمت باشا قومندان موقع بيروت سابقًا بتنشيط هذا العمل الاثير فخدما بهِ الوطن خدمةً صادقة تخلّد ذكرها مع شكرنا في هذه الصفحات

واوَّل ما قرَّرتهُ اللجنة المذكورة ان تقام منـارة الساعة في الساحة الممتدَّة بجوار ثكنة العساكر الشاهانيَّة والمستشفى العسكريّ وهو بلا مراء انسب موضع للغـاية المطلوبة لارتفاع المكان وتوسُّطهِ بين انحاء المدينة

ثمَّ وكلوا برسم البناء الى مهندس البلديَّة البارع رفعتلو يوسف افندي افتيموس احد افاضل طائفة الروم الكاثوليكيين في دير القمر . وقد اشترطوا عليهِ بناء البرج على النَّسط العربيّ . والحقُّ يقال انَّ القوس أُعطيت باريها فان المهندس المومأ اليهِ قد اتقن مزاولة هذا الفنّ ولهُ في ذلك اعمال تُشكر منها بناية القسم التركيّ والعجميّ في معرض شيكاغو وبناء القسم المصري في معرض انفرس في بلجكة فأحرز لهُ الذكر الحسن عند اهل الخبرة

وكانت حفلة وضع الحجر الاول من منـارة الساعة العموميَّة في تاريخ ٩ كانون الثاني ١٨٩٧ الموافق لليوم الخامس من شهر شعبان من السنة ١٣١٥ الهجريَّة . وفيه كان عيد المولد السلطانيّ المنيف . فأُقيم هذا الاحتفال بحضور عطوفة ملاذ الولاية واركانها والامراء العسكريين واكابر المأمورين ووجوه البلدة فصدحت الموسيقى العسكريَّة بابهج الحانها ثمَّ تُليت الخطب البليغة في التركيَّة والعربيَّة ودُعي للذات الشاهانيَّة بالعزّ والبقاء . فأمَّن الجميع على هذه الادعية الحسنة



منارة الساعة العربية في ساحة الكثنة العسكرية ببيروت

وبعد نَحر خروف كمألوف العادة قُدِّم لعطوفة الوالي معول فضرب بهِ ضربتين اساس البناء ووضع الحجر الاوَّل وأركزهُ بطرقة صغيرة من الفضَّة . وفي نهاية الحفلة أُخذ رسم المحتفلين بالتصوير الشمسي

ثم باشرت اللجنة والبنَّاؤون في العمل وشمَّروا عن ساعد الجدّ ولم يزالوا مذ ذاك الحين في مواصلة الشغل الى ان انتهوا منهُ في مدة ١٥ شهرًا

والمنارة مربعة الشكل يبلغ علوها ٢٥ مترًا وهي مؤلفة من خمس طبقات يستقبل وجهها مشرق الشمس . وفي حضيض الطبقة السفلى دكَّة مربَّعة مفروشة بالرخام طولها سبعة امتار ونصف في مثل ذلك عرضًا يُصعد اليها بدرجتين من جهة المدخل ويحوط بها سلسلة من حديد وفي زواياها الاربع ثلاثُ كُرات من الحديد المُصمت

والطبقة الاولى السافلة مبنيَّة في وسط الدكَّة المذكورة تكسير قاعدتها اربعة امتار في اربعة لها وجه بديع المنظر استفرغ جناب المهندس وسعهُ في تنميقهِ وهو من الحجر المجزَّع المعروف في البلد بأبي ظفر لما فيهِ من آثار الحيوان والاصداف القديمة والنبات جلبهُ البنَّاؤون من دير القلعة (١ . وفيهِ المدخل وهو باب ذو مصراعين خشبهُ من شجرة أزدرخت (زنزلخت) عمرها فوق المئة سنة تأنق في شغلها الحاج عُمر قُرَيعة من الطائفة الاسلاميَّة ولمَّا كان من المعلِّمين البارعين بفن النجارة فقد تولَّى كلّ شغل الخشب في المنارة المذكورة

وفوق الباب إطار من الرخام الابيض المرصَّع (المطعَّم) بالحجر الاسود الحوراني والحجر السمَّاقيّ والحجر الاحمر المعروف بأبي زنَّار المجلوب من دير القمر . وفي وسط الاطار قنطرة صغيرة على الطرز العربيّ تتركَّب من الحجر المعروف بالشحم واللحم ومن الاسود الاصمّ . وفوق اطار الباب عند اعلاهُ قطعةٌ جميلة من الشغل العربيّ الهندسيّ المعروف بالمُقرنص وهو غاية في الحسن تزيّنهُ ضروب من النقوش الهندسيَّة . ويعلو هذه الرسوم قطعة كبرى من حجر الشحم واللحم والاسود الاصمّ

ويحدق بكلّ المدخل طنفٌ من الرخام مزيَّن باشكال هندسيَّة ناتئة في البناية على طريقة الخطوط العربيَّة

---

١) ومن هذا الحجر الاصمّ اتَّخذ مهندس كنيستنا الاربعة العواميد الكبرى التي وراء الهيكل

وفي اعلى كل ذلك صفيحة كبيرة من الرخام دُهنت باللون الاخضر وكُتب عليها باحرف ذهبيَّة تاريخ انشاء البناية بالتركيَّة وهي من خطّ الكاتب الشهير علّام افندي علّام. وهذا نصّ الكتابة:

«زينت افزاى مقام معلاى خلافت اسلاميه واريكه بيراى سلطنت سنيه عثمانيه السلطان بن السلطان السلطان الغازى عبد الحميد خان ثانى حضرتلرينك طرف اشرفلرندن اشبو ساعت قله سى موسسات نافعهٔ ماوكانه لرينه علاوهٔ بيك اوجيوز اون التى سنهٔ هجريه سنده بنا وانشا ايدلشدر هجري سنة ١٣١٦ رومي سنة ١٣١٤»

وترجمتها في العربية:

«أُنشئ برج الساعة هذا من جانب مَن ازدانت به اريكة السلطنة السنيَّة العثمانيَّة ومقام الخلافة الاسلامية حضرة السلطان ابن السلطان السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني علاوة على مؤسّساته الملوكانيَّة النافعة وذلك سنة ١٣١٦ هجريَّة »

امَّا الثلاث الجهات الباقية من هذه الطبقة السفلى فيزيّنها شُبّاكات زجاجيَّة (١ مختلفة الالوان على اشكال هندسيَّة عربية وهي مزدوجة في وسطها عمود (شمعة) من الحجر القرنيّ المكلّس الموجود في جوار البلد. وحول الشُبّاكات صفٌّ من الحجر الابيض الملكيّ (مجلوب من جونية) والاسود الشاميّ الناري (basalte) يساوره اطار اوسع من الرخام العادي يبرز منهُ طنفٌ مفتولٌ فَتْلَ الأَسورة

وكلّ اشغال الرخام هذه قد قام بنقشها المرحوم ديونيسيوس صوَّان من اهالي المصيطبة من طائفة الروم الارثوذكس. ألّا المُقرنص فقد هندمهُ احسن هندام المعلّم يوسف العنيد الشاميّ من طائفة الروم الكاثوليك

امَّا الطبقات العليا فيُرقى اليها من داخل المنارة بسلَّم من الحديد ذي ١٢٥ درجة اشتغلهُ احد حذّاق الحدَّادين من الثغر عبد الستّار سوبرة من الطائفة الاسلاميَّة واحكم شغلهُ. فالطبقة الثانية يزينها اربع شُبّاكات كبرى (قندلونات) من الرخام الابيض المطعَّم بخطوط سوداء. واسفل دفّاتها (درفاتها) من الخشب المخروط المعروف بالشربيَّات. ويعلو المشربيَّات زجاج ملوَّن كما في الطبقة السفلى

وفي الطبقة الثالثة اربعة ابواب تفضي الى كِنّان (بلكونات) كلّها من الرخام

---

١) كذا يدعو ابن جبير ما يعرف عند العامَّة بالقندلونات

الابيض المطعَّم بالاسود والابواب من خشب المشربيَّات المارّ ذكرهُ . وفي هذه الطبقة عُلّق الجرس الذي يبلغ قطرهُ ٨٥ سنتيمترًا وثقلهُ ٣٠٠ كيلو

امَّا بيت الساعة ففي الطبقة الرابعة وفيها اربع مبوَّقات على اربع جهاتها معمولة من الرخام الابيض المطعَّم بالحجر الاسود والاحمر . وقد اجتلبت الساعة من معمل الساعاتي الشهير بولس غرنيه (P. Garnier) في باريز بواسطة سفارة الدولة العليَّة فيها وهي ممتازة برشاقة ادواتها وخفَّتها تنزل منها الاثقال الى الطبقات السفلى واكبر هذه الاثقال لا ينقص عن ٣٩ كيلو . وعلى الجهات الاربع اربع ميناوات قطرها متر وستون سنتيمترًا رُسمت عليها في جهتي الشرق والغرب الارقام الرومانية وفي جهتي الجنوب والشمال الارقام العربية الَّا انَّ الابر جميعها تدلُّ على الساعة العربية . وكذلك يكون دقّ الساعة على التوقيت العربي . والذي وُكل اليهِ تركيب الساعة هو الساعاتي الماهر قيصر شكري الماروني فقام بهذه المهمة احسن قيام . وتنتهي هذه الطبقة الرابعة باطناف ناتئة (كرنيش) من الحجر الملكي على الطراز المعروف بالمقرنص

والطبقة الاخيرة مؤلَّفة من اربعة شبابيك بُنيت بالحجر الابيض الملكي والاسود الشاميّ النادي تنتهي ايضًا بأطناف من المقرنص الابيض من الحجر الملكي

وفوق المنارة سطح مساحتهُ تسعة امتار مربَّعة تكتنفهُ شُرف على شبه التاج من الحجر الرمليّ البيروتي المطعَّم بالحجر الاسود النادي . ويرى الناظر من اعلاهُ منظرًا شائقًا يأخذ بالابصار فانَّ العين تشرف على جميع انحاء المدينة لا يفوتها منها شيء . ثمَّ تمتدُّ الى ضواحي البلدة وسواحل البحر ومشارف لبنان فتُبهر بروعة هذه المناظر الفائقة ومحاسنها الرائقة . امَّا جملة ما أُنفق على هذا البناء الجميل مع ثمن الساعة ومستلزماتها فقد بلغ ١٢٦ الف غرش ذهبًا جازى الله خيرًا كلَّ من قاموا بهذا العمل ونفعنا زمنًا طويلًا بهمَّتهم وسموّ مداركهم

وقد عُيّنت حفلة تدشين المنارة في هذا النهار (٣١ آب — ٢٤ ربيع الآخر) بنسبة عيد الجلوس اعادهُ الله على متبوعنا الاعظم اعوامًا طوالًا فانَّهُ قدير وبالاجابة جدير

خطر الكلوروفورم (البنج)

موتٌ هائلٌ

للدكتور اسبيريدون أبي الروس معاون اسبق في المستشفى الافرنسي

لا خلافَ في ان التخدير بالكلوروفورم قد خدم الجراحة في اثناء الخمسين سنة الاخيرة التي انتشر استعمالهُ فيها خدمة جليلة لا ينازعهُ في اهميتها سوى تطهير الجراح وضمدها بالموادّ المضادّة للفساد (Antiseptiques) كاليودوفورم والمركَّبات الزئبقيَّة وغيرها

بيدَ ان المخدّرات والمطهرات عموماً يُعاب عليها كونهـا موادّ سامّة تستلزم من قِبَل الجرّاح زكانةً وعناية وانتباهاً كثيرًا والَّا نشأ عنها شرٌّ جسيم وويل عظيم وسأحصر الكلام اليوم في مضارّ الطائفة الاولى اي المخدّرات مبتدئاً منها باكثرها شيوعاً وضررًا وهو الكلوروفورم

وقبل ان اتكلّم نظريًّا عن مساوئ التخدير بهذه المادَّة في الاعمـال الجراحيَّة والاخطار التي تنشأ عنها غالباً وتنتهي بالموت احياناً اقصُّ على مسامع القارئ الحادثة المحزنة الآتية التي جرى فيها « التبنيج » بالكلوروفورم ومات على أثرهِ الجريح بفظاعة هائلة مسموماً بذلك المخدّر الغدّار

شابٌّ في ريعان الصبا في الثامنة عشرة من العمر أُطلقت عليهِ رصاصة مسدَّس فأصابت فخذهُ فدخل مستشفى الروم الارثوذكس متداويًا من آفتهِ . وبعد معالجة طالت شهرًا ونيفًا قضى عليهِ احد اطبَّاء المستشفى المشتغلين بالجراحة ببتر فخـذهِ فاستعان بطبيب حدثٍ في المستشفى المذكور ليكلّفر الجريح (اي يعطيهِ البنج) وقبض هو على مبضعهِ منتظرًا نومهُ . وبالواقع فان الشاب لم يكد ينشق من ريح الكلوروفورم بضعة انفاس حتى خمدت انفاسهُ وتعطلت حركتهُ وحواسُّهُ فنـام ولكن نوماً لم يستيقظ من بعـدهِ الَّا في الآخرة . . . . ولا تسل عن دهَش الطبيبين وانبهاتهما في ذلك الموقف الرهيب : الجرَّاح قابض على مبضعـهِ يهمّ بالعمل والمبنّج على قمع التبنيج يستقصي علامات النوم فاذا بهما في لحظة من الزمان ازاء جسم جامد لا حسَّ فيهِ ولا حياة

فحاولا انعاشه من سباتهِ العميق وعالجاهُ جهد المستطيع وهو لا يزيد الَّا موتًا

ورقادا. ولمَّا اعيتهما فيه الحيل ورأيا الموت لا مردّ منهُ وبعث الارواح لا سبيل لهما اليهِ اطلقا ساقيهما للريح فعمد الواحد الى جوادهِ ولطأ الجرّاح الى منزلٍ مجاور للمستشفى حتى وافتهُ العربة فغاص فيها متواريًا عن الابصار

الّا انَّ الحادثة لم « تُخنق » كما تمنَّى صاحباها بل افتضح امرها في بيروت جمعاء وتمَّي الخبر الى الحكومة المحليّة فانتدبت لجنة طبيَّة الى المستشفى المشار اليهِ فحققت عن كيفيَّة الحادثة وحالة الجريح وآلته وكميَّة الكلوروفورم والصورة التي أُعطي بها ولم أعلم بعدُ نتيجة التحقيق

ومهما يكن من كلّ ذلك فالنتيجة واضحة لا ظلَّ للإبهام عليها ولا تنسل فيها التفاصيل شيئًا أكثرتُ منها او اقللت. وخلاصتها ان الجريح الشاب اغتالهُ الكلوروفورم فاهلكهُ مسمومًا ولولاهُ لم يمت في تلك الساعة بل بقي الى الآن حيًّا يسعى

وممَّا يستوجب الاسف في تصرُّف هذا الجرَّاح ويزيد في ثقل المسؤولية الملقاة عليهِ ان طبيبًا قديمًا في خدمة المستشفى ومناظرًا لهُ في الجراحة أبى ان يجري العمليَّة ورفض مشاركتهُ رأيًا وعملًا محتجًّا عليهِ بحالة العليل من الضعف وتعذُّر احتمالهِ لصدمة الكلوروفورم. امَّا هو فلم يحفل بنصيحة رفيقهِ وسوَّلت لهُ نفسهُ اقتحام الخطر طمعًا بلذة المجد والشهرة فكان ما كان ممَّا دارت فيهِ دائرة السوء على ذلك الفتى المسكين

فلو سلَّمنا بان التخدير روعيت فيهِ كامل الشروط العلميَّة المتعلّقة باستعمالهِ كمًّا وكيفًا (الامر الذي لا أزالُ على ريب منهُ) فالطبيبان ولاسيما الجرَّاح منهما لا يسلمان من هذا الخطإ الرئيسي والمسؤوليَّة العظمى وهي عدم التمييز بين المواضع التي يسوغ فيها التخدير والتي لا يسوغ لانهما سلَّطا الكلوروفورم على جريح لا تسمح لهُ علتهُ وقواهُ باحتمال هذا العقار السامّ

ويغلب على ظنّي ان الشاب مات بالاغماء. ووقوف القلب (Syncope) على أثر صدمة الكلوروفورم لمركز الاعصاب القلبيَّة وتقبيضه للاوعية الدمويَّة بحيث لم يعد القلب قادرًا على تفريغ الدم في الاقنية المتضيِّقة امامهُ فوزح مشلولًا كما سافصل ذلك فيما بعد ان شاء الله

فاذا علمت ذلك اجمالًا يتَّضح لك جليًّا خطر التخدير بالكلوروفورم ويقع الطبيب المشار اليهِ في خطإٍ ثانٍ عظيم يشركهُ فيهِ سائر جرَّاحي سوديَّة وهو عدم استبدال

الكلوروفورم بمادة اخرى تمتاز بخلوّها من مضاره وجمعها لمنافعه المخدرة وهي الايثير (Ether) الذي عليه وحدهُ الآن اعتماد معظم جراحي ليون في فرنسة وبوستن في اميركة وبرلين في المانية

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

١٣ اليمونة

اليمونة قريةٌ على عطف جبل منيطرة من جهتهِ المشرفة على سهل البقاع بينها وبين افقة بعض الشبه. واسم اليمونة مشتقٌ من السريانيَّة ܝܡܬܐ معناها البحيرة دُعيت بذلك لانَّ بقربها حوضاً تجتمع فيهِ مياه تلك النواحي يدعوها الاهلون بركة اليمونة. امَّا قول المسيو رينان في كتاب بعثة فينيقية (ص ٣٠٧) انَّ البحيرة اشتقَّت اسمها من اسم القرية فهو خلاف الواقع كما ترى

والبحيرة المذكورة في غور عميق تكتنفهُ الجبال العالية من كلّ صوب ما خلا الجهة الشماليَّة الشرقية. فانَّ في هذه الجهة ربوةً صغيرة تقوم في وجه المياه وتصدُّها عن السيلان. امَّا وطأ الارض الذي تمتدُّ فيهِ البحيرة فتربةٌ مرصوصة من الحُوَّارى الشديدة البياض فاذا دخل فصل الصيف نضبت مياه البركة ويبس غورها البالغ طولهُ نيفاً وكيلومترين في عرض نحو الف متر. فيسير السائر في تلك البطحاء على هونهِ لا تزلُّ بهِ الرجل ولا تغوص في وَحل وكلُّ ذلك دليل على ان المياه وقت اجتماعها لا تتصفَّى في ذلك الوطإ وانَّما تغور في الارض كما سنذكر

وفي شمال البحيرة عند سفح الجبل المنتصب عليها ترى نبوعاً عديدة تتفجَّر في الارض ماؤها زلال عذب اصفى من الدمعة. يتجمَّع في مسيل عرضهُ بين مترين وثلاثة امتار فيجري عند طرف البركة الشرقيّ ثم يجتاز البحيرة في عرضها الى ان يبلغ حوضاً قليل السعة كأنَّهُ بركةٌ في بركةٍ كبرى. وهذا الحوض الصغير غير منتظم الجوانب لا يتجاوز ٤٠ متراً في اوسع امكنتهِ. امَّا عمقهُ فيبلغ في شهر ايلول خمسة امتار ثمَّ يأخذ بالنقصان الَّا انَّ هبوطهُ لا تكاد العين تلحظهُ لكثرة ما يجري اليهِ من المياه

وما لا ريب فيهِ انَّ المياه المتجمعة في الحوض الصغير تسيل من منفذٍ خفيّ يدعوهُ



رسم بركة اليمونة واخربة الهيكل من جهة الغرب

الاهلون بالوعآ وهو محجوب عن العيان تخفيه الحجارة وطبقات من الحصى والرمل · فتسيل المياه من هذه الشقوق الى سرب تحت الارض

واوّل من عرَّف الاوربيين بهذه البحيرة السائح الفرنسيّ بولس لوقاس (P. Lucas) زارها في اثناء القرن السابع عشر وهو يزعم في رحلته انَّ هذه البحيرة حديثة العهد · وهو زعم مردود يشهد على بطلانهِ اسم اليمونة السرياني وهو اقدم من ذلك العصر بكثير

ثمَّ تردَّد كثيرون من السيَّاح الى لبنان وزاروا البحيرة المذكورة وبعضهم صحَّفوا اسمها ببحيرة ليماين (Laimaïn) (١

وممَّا يجدر بالذكر ان سطح مياه بركة اليَشُّونة مع صعوده وهبوطهِ سنويًا لم يبلغ الى نضوب البحيرة تمامًا الى سنة ١٨٧٠ · فلمَّا دخلت السنة المذكورة ساخت الارض بطبقة الوحل والرمل التي كانت في قعر البالوع فاتَّسعت فوهة النفذ الداخلي وانحطَّت مياه البحيرة على حين غفلة وجرت من هذه النافذة · وكانت سابقًا تنضُّ في الارض نضيضًا

هذا ثم تعود مياه البحيرة عند الاعتدال الربيعي فيرتفع سطحها وتتدفَّق جوانبها الى ان تبلغ معظمَ ارتفاعها بعد شهر من الزمن وذلك انَّ المياه تنبجس من مغارة قريبة في منعطف الجبل فتسيل الى البحيرة وتغمرها · وهي لا تزال تجري من تلك المغارة بقوَّة شديدة الى انقلاب الشمس الصيفيّ وهو منتهى ذوبان الثلوج على رؤوس الجبال فتنقطع المياه اذ ذاك بغتةً وتأخذ البحيرة بالنضوب شيئًا فشيئًا للسبب السابق ذكرُهُ حتى لا يظهر من البحيرة الَّا قعرها · على انَّ هذه اليبوسة الناجمة اليوم عن نفوذ المياه في قعر البالوع كانت قبل سنة ١٨٧٠ جزئيَّة لانَّ الارض المنخسفة في ذلك العام مع كونها نخرة كانت من ذي قبل تمسك قسمًا من المياه حتى في اوان حمارَّة القيظ

ولعلَّ القارئ يسأل وماذا يحدث بالمياه المتوارية من بحيرة اليمونة والى اين مجراها ؟ اجبنا ان هذه المياه تنفذ في قلب الجبل فتجري الى جهة الغرب وتخرج من مغارة أفقا بعند قرية العاقورة منحدرةً نحو ١٥٠ مترًا عن سطح بحيرة اليمونة ومن هذه المياه يتكوَّن نهر ادونيس المعروف اليوم بنهر ابراهيم · وهذا الامر قد ثبت الآن عند العلماء لا يرتابون في صحَّته لانَّ مياه اليمونة لا اثر لها في منعطف الجبل الشرقيّ

١) راجع كتاب ريتر (Ritter : *Erdekunde* XVII, 301)

من جهة البقاع وزد على ذلك انّ الجبل الفاصل بين وادي نهر ابراهيم وبطحاء اليمونة قليل الاتساع في باطنهِ مغاور عديدة يسهل نفوذ المياه اليها

وان سرتَ بضعة اميال الى جنوبيّ بحيرة اليمونة على منعطف الجبل الشرقيّ وجدت وادياً كثير الاشجار في وسطهِ بحيرة صغرى جميلة المنظر تدعى بركة الزينيّة طولها نحو كيلومتر في عرض ٥٠٠ متر مياهها صافية كالزلال وليس في هذه البركة من السمك شيء. وانّما تسبح في مياهها الضفادع والحيّات المائيّة بخلاف بركة اليمونة التي يتوفّر فيها السمك

وبحيرة الزينيّة تحفّ بها التلال المرتفعة وتسيل اليها المياه المتجمّعة من الثلوج الذائبة وتنصبّ فيها جداول عديدة تجري في تلك الاصقاع. وقعر المياه من الموادّ الكلسيّة النخرة الكثيرة التثقّب الشائعة في اعالي لبنان فتنفذ منهُ المياه وتنور كما تنضب مياه بركة اليمونة فتتحلّ الارض وتيبس بالتمام وعلوّ هذه البحيرة الصغيرة عن سطح البحر نحو ١٨٠٠ متر كأنّها في حسنها احدى بحيرات جبل الالب (راجع المشرق ١:٤٢٦)

ومن الآثار القديمة التي تُرى في اليمونة دكّة مربّعة من الحجارة المنحوتة بُنيت على طرف البحيرة في وسط النبوع المتفجرة التي تُحدق بها. وهناك بقايا من أسوار واعمدة وافاريز وصفائح ضخمة من الحجارة تدلّ على انّ ثمّ كان هيكل رومانيّ اباده الدهر. ولا اثر هناك لكتابات قديمة

وقد حاول بعض الحدثين ان يثبتوا انّ هيكل افقا الذي ذكرهُ القدماء كان في جوار بحيرة اليمونة. ألا انّ هذا الزعم لا سند لهُ كما بيّن الامر رينان في بعثة فينيقية (١ والصواب انّ القدماء اتّخذوا لهم هيكلين احدها على مقربة من بحيرة اليمونة والآخر عند نبع مغارة افقا وكان بين الهيكلين تناسب يعدّها القوم كمبدئي إله واحد لما بينهما من الشبه في خروجهما من حوض واحد. ولعلّ هذا الوفاق بين الهيكلين حمل المؤرخ اليونانيّ زوزيمس (٢ على ذكر بحيرة بقرب هيكل الزهرة عند افقا. وانّما قال ذلك توسّعاً لا يريد بلفظة « πλησίον » اليونانيّة « المجاور القريب » بل مطلق الاقتراب فقط. ومن الممكن ايضاً انّ هذا المؤرخ لم يتثبّت الامر بنفسهِ بل اوردهُ عن سمع (٣

---

١) Renan : *Mission de Phénicie*, 308 ٢) Zozime : *Hist.* 309 *seqq.*

٣ راجع في هذا الصدد مقالة حسنة نشرها مسيو شرل غليزدو بك في مجلة مصر ومؤلفها العلّامة المسيو بانش هذا عنوانها (Les eaux d'Adonis au mont Liban, p. 12, *seqq.*)

هذا ثمَّ انَّ الطريق المؤدية من بركة السونة الى بعلبك كثيرة الآثار فيها كتابات عديدة الَّا انَّ اكثر هذه الخطوط دارسة مطموسة لا حاجة الى ذكرها في هذه الخلاصة

نظرٌ

في اهميَّة مطالعة تآليف الآباء القديسين والتصانيف المسيحية القديمة

بقلم حضرة الاب سبستيان رنزفال اليسوعي

لقد اصاب من قال في مقدمة السنة الاولى من هذه المجلة عن ترقي اسباب العمران والتمدُّن في هذه الديار: فلا شكَّ ان الغريب الذي ينزل بها يندهل اندهالًا شديدًا اذ « يبصر فيها الارجاء بالفنون والصناعات زاخرة. والمدارس بالطلاب زاهرة. والمطابع حافلة بالتآليف الفريدة. والجرائد منعمة بالمباحث المفيدة... » ذلك لعمري كلام من عرف احوال المشرق حقَّ معرفتها. كلام يقين لا تشوبهُ مِريَة ولا يجحدهُ الَّا من اعمت بصيرتهُ النيرة. صاننا الله من شرّ الحسد وعواقبهِ

وممَّا يتميَّز بهِ ابناء الشرق عن سواهم استعدادهم العجيب الى تلقّي العلوم المختلفة واللغات الاجنبيَّة والآداب الغربية. ترى الشبَّان منهم يبارون الجبال الاوربيّين في تثقيف عقولهم ويناقسونهم في انارة اذهانهم فيصعدون بذلك الى معارج التقدُّم ومعالي النجاح حتى انهُ لو دامت هذه الحال من النشاط والنمو لصحَّ القول بان مرتبة المشرق من حيث المعارف وانواع الآداب الصحيحة لا تلبث ان توازي الدرجة التي ادركتها الاقطار الغربية بعد الجهد الجهيد. اسعد الله اهل بلادنا الى بلوغ هذه الذرى الشريفة لخير الوطن ومجدهِ تعالى الاعظم

غير أنهُ مهما كان من توفُّر اسباب التهذيب العقلي في هذه البلاد واتساع نطاق المعلومات فيها وعدد الادباء المشغوفين بمطالعة التآليف المفيدة وكثرة العلماء المزاولين لوضع التصانيف الفريدة قلَّما تراهم يتفرَّغون لدراسة قسم كبير من الكتب الشهيرة الجديرة باعتبار كلّ من لهُ المامٌ بآداب السلفاء ومآثر الاولين. ألا وهي الودائع الجليلة والكنوز الثمينة التي خلَّفها لنا اجدادنا الشرفاء وآباؤنا القديسون وملافنة الكنيسة المسيحية: تصانيف قد طارت شهرتها في الآفاق وامتدَّت منفعتها الى الخافقين. فاسم الحقّ اذا استثنينا بعض الاكليريكيين لاسيَّما من يترشحون للعلوم اللاهوتية في مدارس الشرق

وكليَّات المغرب فاين الشرقيون الذين يَردون تلك الموارد الصافية التي قد طالما يستقي ادباء اوربَّة من مائها الزلال ويصرفون العناية في البحث عن دررها ويتبحَّرون في غوامض معانيها فيحرزون فوائدها الجمَّة ومنافعها العميمة

ولئلَّا تنسب قولنا هذا الى المبالغة والتجاوز فاعطف نظرك ايها القارئ الاديب الى مدارس اوربَّة الكنسيَّة والعالمية · تشهد فيها من الاهتمام بدرس التصانيف التي نحن بصددها ومواصلة السعي في طلب غُررها ما تدهش منهُ العقول · فبالحقيقة لم تكد تظهر بدعة « دُعاة الاصلاح » في العالم المسيحيّ حتى اخذ علماء اوربة يرجعون الى تآليف الآباء لردّ مكايد المبتدعين في نحرهم · ومنذ ذلك الوقت لم تزل مدارسة الكتب المسيحيَّة القديمة في النمو والترقي · ففي القرنين السابع والثامن عشر ابرز الكردينال بلارمينوس اليسوعيّ تأليفهُ المشهور في الكتَّاب الكنسيِّين ثم تبعهُ عدَّة مصنّفين كالمباركيّين لينوري (Le Nourry) وسيليار (Ceillier) وشرام (Schram) ولومبر (Lumper) والدومينيكي لوكيان (Lequien) صاحب كتاب « الشرق المسيحي » والعلماء دوبين (Dupin) وتلمون (Tillemont) والسمعاني العلّامة الماروني الطائر الصيت الى غيرهم من نُطس الكتَّاب ومتقدّميهم

امَّا القرن الحاضر فقد ظهر فيهِ رجال مشهورون وضعوا كالسلف التآليف الضخمة · نخصُّ منهم بالذكر العلامة مين(Migne) صاحب المكتبة العظيمة التي هي اشهر من ان تُوصف والكردينالين المبرّزَين ماي (Mai) وبيترا (Pitra) · فهم الثلاثة الذين احيوا تلك الدروس الشريفة احياء لم يصدَّهُ مانع ويحدّهُ حاجز · ولم يقتصروا على طلب آثار الآباء اللاتينيين واليونانيين فقط بل بالغوا بالجدّ وراء مطالعة مصنَّفات الشرقيين ايضاً ونشرها كلافنة الكنيسة السريانيَّة وكتَّاب الارمن والقبط الى غير ذلك من الطوائف المسيحيَّة التي تزدان بها بيعة الله المقدَّسة · والحقُّ يقال انَّ مساعيهم اتت باثمار طيّبة وافرة فاقتفى معالمهم جمٌّ غفيرٌ من رجال الكنيسة واعيان العلم والادب في جميع اقطار اوربَّة واميركة وبالخصوص في فرنسة وانكلترة والمانية والنمسة وايطالية · ومن اعجب الامور انَّ الشعوب التي قد طالما غلب عليها روح البغض والتقريع لتعاليم الآباء الاقدمين وتصانيف ملافنة الكنيسة هي اليوم في مقدّمة سائر الامم في دراسة تلك التآليف الجليلة والسعي الحسن وراء نشرها واتقان ترجمتها الى

اللغات الاوربية المختلفة. فان اردت شاهداً على ذلك عليك بمراجعة ما كتبهُ الاب كنداءين في مقالة مهمّة بيّن فيها اجمالاً معاملة الهراطقة لاباد بيعة يسوع المسيح منذ ظهور بدعهم الى ايامنا الحاضرة (١. وهذا باب تاريخيّ واسع ليس غرضنا قرعهُ في هذه العجالة. بل جلّ ما قصدناهُ من ايراد ما تقدّم على وجه العموم بيان قلّة المزاولين لتلك الكتب بين مواطنينا لاسيما اذا وُضع عددهم الوجيز بازاء كثرة ادباء المغرب وعلمائهِ. وهذا لعمري نقص بيّن يؤسَف لهُ. ولعلّهُ ناتج عن عدم الاكتراث لفوائد هذه الدروس او الزعم ان كلّ ما دُوّن في سالف الدهور من كتب الدين وتواريخ الكنيسة وآداب الاقدمين انما هو جملة امور لا علاقة لها باحوالنا الحاضرة او مسائل دقيقة لا عائد منها ولا طائل تحتها. وهذا غلط ظاهر لا بدّ من اقتلاعهِ عن اذهان العامّة والخاصّة

وما لا مرية فيهِ ان الاقبال على هذه الدروس لا يليق فقط برجال الكنيسة بل ايضاً بالعالميّن وبكل من يهتمّ باعزاز ديانتنا ويرغب في الوقوف على كنه عوائدها وتقاليدها واصل طقوسها وبراهين صحّتها ومتانة اركانها وقوّة تدبيرها وبالجملة الوهيّتها وقداستها الابديّة. أجِل لحظك في تواريخ الاعصار وقل لي: كم هم المنافقون او الضالّون عن سبيل الحقّ القويم الذين بمجرَّد مطالعتهم تآليف الاقدمين من الآباء والملافنة قد ارتدُّوا عمّا كانوا عليهِ من الجهل والتشكّع والبغض فانضمُّوا الى حظيرة يسوع المسيح فرحين شاكرين لله تعالى على هذه الموهبة الفائقة والنعمة الخالدة (١. واذا كان الامر كذلك فماذا يكون حالنا عند ربّ العالمين ان اهملنا هذه الدروس وسهونا عن هذه الكنوز واغفلنا التمتع بتلك الوراثة العالية تاركين تلك العدَّة البهيَّة في ايدي مَن يستخرجون منها اسلحة جديدة لتقويض دعائم اعتقاداتنا واركان عوائدنا (٢

ولمزيد ايضاح هذه الاهميَّة يحسن بنا ان نأتي عليها بتفصيل بعض الادلَّة الصادقة موردين اختصاراً اقوى الاسباب التي تحثنا على مطالعة كتب اجدادنا المسيحيين فنقول:

١ً: ان السبب الاول هو اهميَّة تآليف الآباء في تأييد التقليد. لا يخفى على احدٍ ان التقليد المقدَّس عين من عيون الحقائق المنزلة على لسان يسوع المسيح لهُ المجد. والحقّ

١) راجع المشرق ٣: ٢٤١-٢٤٦ ٢) راجع في اعداد البشير من هذه السنة مناظرة حديثة تُطلعك صريحاً على وجوب دراسة التآليف القديمة للردّ على مزاعم المحرّفين

يقال ان المؤلفين الاولين لاسيا الآباء القديسين وملافنة الكنيسة هم اقدم الشهود واصدقهم على ذلك التقليد. فانهم تسلّموا الايمان من الرسل الاطهار إمّا مباشرة او بواسطة من حظوا بمشافهة الرسل واقتباس تعاليمهم. فخلّفوا لمن بعدهم من زعماء ديانتنا وآبائنا الموقّرين كل الحقائق المتينة والعقائد الصحيحة التي اتّصلت الينا بالتسلسل الواصل والتواتر الغير المنقطع. وقد ايّدوا وديعة الايمان بكل نوع من الادلّة المقنعة والبراهين القاطعة. لا بل لم يتردّدوا في بعض الآونة من بذل حياتهم للذبّ عن صحّة الديانة والمناضلة عن سلامتها. فان اردت شاهداً حسّياً عن متانة التقليد المسيحي كما هو مدوّن في تصانيف الكتّاب الاوّلين راجع جدول اسمائهم كما سردناها (ص ٧٩٢) فبالحقيقة لا نعرف برهاناً اجلى من هذا الجدول واقطع منهُ لبيان مواصلة تقاليدنا المقدّسة

تحقّق اذن ان للكتب المسيحيّة القديمة اهميّة عظيمة في معرفة التقليد وتأييد صحّته. ولا حاجة الى الاسهاب في بيان هذا الموضوع فانهُ اضوأ من نور الشمس

٢ً السبب الثاني وهو اهميّة تآليف الاقدمين في توطيد الكتب المنزلة وتفسيرها. ان الكتب المقدّسة من العهدين العتيق والجديد هي كالتقاليد ركن من اركان ايماننا وينبوع من ينابيع عقائدنا. فاذا ثبت ذلك فاين يا ترى تجد مفسّرين افضل من الاباء او اصدق من الملافنة. فانهم فضلاً عمّا لقوهُ من الايد والمساعدة في تقليد خالص قريب من عهدهم قد جمعوا بين العلم والفضيلة بين قداسة السيرة وخلوص النيّة بين ثبات الجنان واضطرام الغيرة. ومن ثمّ جلبوا على انفسهم أعلى نعم ربّهم فانار الله تعالى عقولهم الثاقبة فاتحاً لهم غوامض اسراره. وان زدت على كل ذلك ان معظم هؤلاء الكتبة قد عاشوا في نفس الديار التي دُوِّنت فيها الكتب المنزلة. بين الشعوب الذين بشّرهم الرسل الاطهار بالانجيل المقدّس فلا مندوحة لك عن الاقرار بسموّ شأن تآليفهم في كل ما يختصّ بتفسير الكتب المقدّسة

وممّا بيّن صريحاً ما في الانكباب على مطالعة تصانيف الآباء من علو الفائدة وعظم الاهمية ما نشاهدهُ اليوم من انفساح مجال الدروس المتعلّقة بالكتب المنزلة قاطبةً وترامي اقلام الكتّاب فيها الى ابعد مرامي البحث واناًى مطارح الفكر. فكأني بهذه

١) راجع المقالة المذكورة آنفاً ص ٣٤٧ — ٣٤٨

الدروس اصبحت نقطة مركزيَّة اليها يُرجع في جميع المسائل دينيَّةً كانت ام عالميَّة. وقد اتَّسع نطاقها في هذه السنين الاخيرة اتساعاً عظيماً جعلها كأَرْز يتقاتل فيها الحقّ والباطل العلم والجهل الديانة والكفر بيعة المسيح وجماعة البدع التعاليم المستقيمة ومذاهب المنفصلين. وهذا الاتساع العجيب لم ينحصر في قطر من اقطار المسكونة بل عمَّ كافَّة البلاد المتمدّنة واخذ فيها من النمو والشأن ما شغل فكرة الحبر الاعظم ابينا لاون الثالث عشر وهو لم يزل ولا يزال مترقّباً لحاجات رعيّته الروحية. فرأى من اللائق بل من الضروري ان يصدر في هذا الموضوع منشوراً خاصاً عنوانهُ Providentissimus Deus وبه استلفت ليس فقط ابصار المشتركين في وحدة الايمان بل ايضاً جميع الشيع حتى اشدّ الهراطقة بغضاً للكنيسة الكاثوليكيَّة واظلمهم لحقوقها

والحال ان المسألة التي يوضحها الاب الاقدس باجلى عبارة والنقطة التي يسهب المقال فيها بذلك المنشور الثاني الشهرة انما هي اهميَّة مدارسة تآليف الآباء. والاجتهاد في تفقُّه معانيها واتقان تأويلها. اليك ايها القارئ اللبيب نصّ كلامهِ مترجماً عن اللاتينيَّة. قال: «وتأييداً لتعاليمنا وتحريضاتنا يحسن بنا ان نذكركم كيف ان جميع الذين اشتهروا في اوائل النصرانيَّة بقداسة سيرتهم ومعرفتهم للعلوم الالهية لم يألوا جهداً في درس الكتب المنزلة. فان تلامذة الرسل كاكليمنس الرومانيّ واغناطيوس الانطاكيّ وبوليكربوس واوَّل الاباء الذين دافعوا عن الايمان وبالخصوص يوستينوس وايريناوس لم يزالوا ليل نهار يردون موارد الكتب المقدَّسة فيرتشفون من زلالها الصافي ايماناً وقوَّةً ونعمةً وتُقىً كما هو ظاهر في جميع رسائلهم وتصانيفهم التي ألَّفوها امَّا للذب عن عقائد الكنيسة الكاثوليكيَّة او لتحييها في قلوب المؤمنين. وأمَّا المدارس التي أُقيمت في كثير من الكراسي الاسقفيَّة لاسيما في الاسكندريَّة وانطاكية الشهيرتين لتدريس التعاليم الالهيَّة فقد اصبحت دائرة التهذيب فيها مقصورة على تلاوة النصوص الكريمة وتفسيرها والمناظرة عن حقائقها. ومن تلك المدارس برز معظم الآباء والكتَّاب فوضعوا من التآليف الضخمة الجليلة الاتقان والتصانيف الكثيرة الفائقة النفعة ما يُعدّ سلسلةً بهيَّةً لم يكن لها من انقطاع في مدَّة ثلاثة قرون متوالية. فبكلّ صواب يُحسب عهدهم عهداً ذهبياً لتفسير الكتب المنزلة. وفي مقدّمة الآباء الشرقيين نخصُّ بالذكر اوريجانس الذي اشتهر بذكاء عقلهِ ومواظبتهِ العجيبة على الكتابة والتدريس فانّ

مآثره العديدة وخاصَّة كتابهُ المعظم المشتمل على ستة نصوص من العهد العتيق اضحى ينبوعاً يستقي منهُ جميع الخلف. وتبع اوريجانس مؤلّفون عديدون وسَّعوا نطاق تفسير الالهيات. افضلهم في الاسكندرية اكليمنس وكيرلُّس وفي بلاد فلسطين اوسابيوس وكيرلُّس آخر. وفي قبدوقية باسيليوس الكبير وغريغوريوس النزينزي وغريغوريوس النيصي. وفي مدينة انطاكية يوحنا المدعو فم الذهب ذاك الذي قرن حلاوة الفصاحة بعلوّ معرفتهِ للنصّ المقدّس. . . »

ثمَّ يعدّد الاب الاقدس اشهر آباء الغرب واصفاً لهم كوصفهِ للآباء الشرقيين ولا حاجة الى الاتيان بكلامهِ. ففي العبارات المارّ تعريبها كفاية لأُولي الابصار. فحقَّ القول اذن ان من يرغب في الوقوف على صحَّة معاني الكتب المنزلة لا بدَّ لهُ من مطالعة تآليف الآباء وحسن فهمها

٣ : السبب الثالث وهو اهمية مطالعة تصانيف المسيحيين الاوّلين لفهم التواريخ القديمة.

اعلم اننا لا نقصر قولنا هذا على الكتّاب الذين افردوا للتواريخ تآليف مخصوصة كايوليتس الروماني ويوليوس الافريقي واوسابيوس القيصري وغيرهم بل نشمل ايضاً معظم الآباء والملافنة والمؤلفين من النصارى على اختلاف مواضيع مآثرهم. فانهُ من المقرَّر ان مصنفات هؤلاء كلهم مفعمة بتفاصيل تطلعنا على الاحوال الغابرة وتخبرنا عن كنه الامور اخباراً جليًّا. فان اوّل المسيحيين قد قطنوا الممالك الرومانيَّة شرقاً وغرباً وفي هذه البلاد الواسعة انتشرت ديانتنا وامتُحن الشهداء وتقدَّس اولياء الله ودوّنت كتب آبائنا الجليلة ونُشرت تعاليم ملافنتنا المنيرة. فاذن كل ما يتأتّى بانتشار النصرانيَّة في العالم القديم يلقي بلا شكّ نوراً بهياً على التواريخ الكَنَسية والمدنيَّة معاً. وممَّا يزيد تآليف المسيحيين الاولين شأناً انك تجد فيها روايات وتفاصيل اصدق ممَّا أُدرج في تصانيف المؤرّخين الوثنيين لاسيما الكاذبين منهم الذين غلب عليهم روح البغض للديانة النصرانيَّة. فبكل حقّ نستنتج ان الاديب الذي يقبل على درس تواريخ القرون الاولى بعد المسيح لا مندوحة لهُ عن مطالعة كتب الآباء والملافنة والمؤلفين المسيحيين الاقدمين على اختلافهم

ثم اذا اعتبرتَ ان احوال القرون المتوسّطة والازمان القريبة من عصرنا متعلّقة باحوال العالم القديم والقرون الاولى للنصرانيَّة تعلّقاً لازباً فلا بدَّ لك من التسليم بان

درس التواريخ القديمة امرٌ يتحتّم ايضاً على كل من تفرّغ لدرس التواريخ المتوسّطة او القاربة لأيامنا اذا ما اراد (كما قلنا) الوقوف على كنه الامور واسباب الاحوال

وكل ما تقدّم شرحهُ امر قد نبّه اليه علماء عصرنا . فترى المؤرخين منهم يكثرون يوماً بعد يوم من الرجوع الى الكتب المسيحيّة القديمة وبالخصوص الى تآليف الشرقيّين كالسريان والكلدان والارمن والقبط مقتدين آثارهم لينتقوا منها كل ما يؤول الى انارة عقولهم في المواضيع التاريخيّة التي اختاروا البحث عنها . ولسان حالهم يقول باجلى عبارة واصدق دليل ان التاريخ الكنسيّ والدينيّ لا يفترقان ولا يُفهَم الواحد دون الآخر . فاذا وضح الاول سهُل فهم الثاني اذ يرى المؤرخ مثلاً ما كان للكنيسة في سالف الاعصار من المقام الرفيع والتأثير الجسيم في عامّة الاحوال لاسيّما في محاربة العالم الوثني ورذائله وفظائعه . فتظهر حينئذ بيعة المسيح على هيئتها الحقيقيّة تحت عناية البارئ وتدبير رؤسائها الاعظمين . وبالعكس يرى المؤرخ ما كان عليه المجتمع الانساني من الانحطاط والتقهقر فيحكم بوجوب اتيان الفادي الرؤوف ليرفعهم من دركات الذلّ ويبيد ظلام الاضاليل التي قد طالما تسكّعوا فيها . وفي تلك المقابلة ايضاً يتبيّن وجه انتصار الكنيسة على بقايا الوثنيّة وكيف انها نالت النزّ على عهد قسطنطين الكبير ونشرت راية الدين المستقيم بانيةً على وجه المسكونة الفضية والنظام وحسن الآداب وكلّ ما تتميّز به الشعوب المسيحيّة من الامم الغابرة . ثم يتجلّى ايضاً وجه ارتقاء الكنيسة الكاثوليكيّة الى الذرى التي بلغتها في القرون المتوسطة وما كان للاحبار الرومانيين من التسلّط والنفوذ في جميع امور المدنيّة . وعلى هذا المنوال يدرك المؤرخ حقيقة التقلّبات التي تتابعت في العالم فحوّلت الاحوال شيئاً فشيئاً حتى افضت بعصرنا الى ما هو عليه

وممّا يجب اخيراً ان يحرّضنا على مدارسة التآليف المسيحيّة القديمة من حيث اهميّتها في التاريخ ما نسمعهُ او نطالعهُ من الاكاذيب التي ينشرها بعض الكفرة رغبةً في حطّ شأن الكنيسة وتذليل مقامها الى غير ذلك من البواعث التي لا تخفى على النبيه . وهم يتحلون العلم فيونّسون اقاويلهم على التاريخ مدّعين ان ادلّتهم صادقة وبراهينهم قاطعة . فان لم يكن لنا المام بتاريخ القرون الاولى ومصنّفات اجدادنا المسيحيّين فكيف يمكننا الردّ على هؤلاء البغاة ودحض حججهم الفاسدة واظهار تحريفاتهم الشنيعة

فثبت اذن ان الاقبال على درس التآليف المسيحيَّة القديمة غربيَّة كانت او شرقيَّة امر مهم لفهم التواريخ

٤ : السبب الرابع وهو ما لتلك التآليف من الاهميَّة الادبيَّة . لا نرى حاجة الى التطويل في بيان هذا القول لأنَّهُ من المقرَّر ان لتآليف الآباء من الفصاحة والبلاغة وضروب الفنون الادبيَّة والفلسفيَّة ما لا ينكره الَّا الجاهل او من اظلم عقله بالغيرة . فمن ذا الذي قضى بضعة سنين في مدرسة من المدارس الثنويَّة ولم يقرأ ولو في ترجمة بعض اسطر من مؤلفات القديس يوحنا الذهبي الفم او القديس اغسطينوس او مار افرام وغيرهم من مشاهير الملافنة . او لم يسمع على الاقل ذكر مآثرهم وسموّ مقامهم في الادب والتهذيب العقلي . أفيرفض احد المسلمين بان هؤلاء الكتبة كانوا اول رجال عهدهم ومتقدميهم في الخطابة والشعر والفلسفة ؟ كلاَّ . وقد أثَّرت بلاغة تآليفهم في ذهن العلامة والخطيب المصقع بوسويت الفرنسي حتى انهُ اصبح مائلاً الى الغاء كتب الوثنيين من اليونان واللاتين في المدارس الثنويَّة (١ . وان كان في هذا الرأي بعض الافراط فلا يُنكر انهُ يُظهر جليًّا حقيقة ما نحن عليهِ من بيان اهمية تاليف الآباء في تنوير الاذهان وتزيين العقول

وان اردتَ قاعدةً للحكم بعظم شأن هذه التآليف فعليك ان تتذكَّر انها تجمع بين الحقيقة والخير والحُسن خلافًا لمعظم الكتب التي وضعتها يد الوثنيين . فان وجدتَ فيها فصاحةً وبلاغةً كثيرًا ما ترى بدلًا من الحقيقة خرافات واضغاث احلام . وان عثرتَ فيها على حقيقة فقلَّ ما تجدها خالية ممَّا يهتك ستر الاخلاق الحسنة . ولا نخيل ان بعض كتب الآباء ناقصة من باب البلاغة . على ان ذلك لا يحرمها قطّ فوائد اخرى وهي العظمى اعني بها الحقيقة وسداد الرأي وحسن الاخلاق وجميل النصيحة وصالح القدوة

فبان اذًا ان في قراءة تآليف الآباء فوائد ادبيَّة لا تحصى

ولاظهار اهميَّة هذه التآليف براهين اخرى نضرب صفحًا عنها قصد الاختصار . وانَّما نريد هنا ان افضل طريقة للانتفاع من كنوز الآباء والملافنة مطالعة تآليفهم في

١) يسلم قرّاؤنا الافاضل ان الطلّاب في مدارس اوربَّة يتعلَّمون اللاتينيَّة واليونانيَّة القديمة فضلًا عن لغتهم الوطنيَّة . وذلك خصوصاً لما في هذه الطريقة من الفوائد الجمَّة لتخريج التلامذة وشحذ قرائحهم

لغاتها الاصليَّة . الَّا ان ذلك امرٌ عسر في هذه البلاد لعدم معرفة السواد الاعظم من الشرقيّين للغات القديمة كاللاتينيَّة واليونانيَّة لا بل السريانيَّة ايضاً مع انها لغة اجدادهم العزيزة (١ فاذا ما دام بنو الشرق لا يتملَّسون تلك اللغات اللازمة معرفتها يضطرون الى مطالعة كتب الآباء في التعريبات او في اللسان الفرنسي الاكثر شيوعاً في هذه الانحاء . أفلا يليق والحالة هذه بادباء المشرق الذين حصلوا على معرفة اللاتينيَّة او اليونانيَّة او السريانيَّة وقد رزقهم الله فراغاً كافياً ان يسعوا وراء تعريب بعض تلك التآليف التي هي اسمى شهرةً واوفر عائدةً فينشروها بالطبع افادةً لعامة القرَّاء وطلَّاب المدارس . ففي مثل هذا المشروع خدمة جليلة للوطن والعلم والدين

وما لا نتالك من ايراده قبل الختام ما نشاهدهُ من دفن بعض الكتب النسخيَّة القديمة والغير المطبوعة في مكاتب بلادنا لا ينتفع منها اصحابها ولا يفيدون بها غيرهم من الادباء . فكم وكم من المجلَّدات السريانيَّة مثلاً يقتني العلماء اشهارها بالطبع وهي لا تزال معفَّرةً في غبرة الرفوف . ثم كم وكم من المصنَّفات العزيزة التي لم يتَّصل الينا اسمازها قد اصبحت فريسة العثّ والهوام او تقلُّبات الجوّ او لهيب النار كما حدث في مكتبة صيدانايا على ما رواه الشاب الاديب حبيب افندي زيَّات في هذه المجلة (ع ١٣ ص ٥٧٦) (٢ افيحتمل الشرقيّ الخالص دوام مثل هذه الحالة من التقهقر او يقنع بان يسبقهُ علماء اوربَّة الى نشر تآليف آبائنا والاهتمام بجمعها في مكاتب عواصمهم وقد قال الشاعر :

ولم أرَ في عيوب الناس عيباً　　كنقص القادرين على الكمالِ

---

١) والحقّ يقال ان اغفال السوريّين للسريانيَّة لمن اغرب الامور في هذا العصر الذي هو عصر الانوار . واغرب من ذلك انك ترى الصبيان في بعض المدارس الابتدائيَّة يتعلَّمون فضلًا عن قراءة الخطّ الكرشوني قراءة بعض الكتب السريانيَّة ولا احد يهتم بتلقينهم معاني ما يقرأُونهُ . وهكذا يذهب تعبهم ضياعاً . وما يزيد في التأسُّف على هذه الحال ان الشرقيّ قادر على هذا الدرس فانَّهُ مجبول على تعلُّم اية لغة كانت لاسيما اللغات الساميَّة التي تُعدّ في جملتها العربيَّة . فكلماَ اقبل مثلًا طلَّاب المدارس الاكليريكيَّة الشرقيَّة على مدارسة السريانيَّة يتعلَّمونها بسهولة عجيبة وينجحون في اتقانها بعد سنة او سنتين بينما ترى تلامذة اوربَّة يقضون في تلقّيها ضعف هذه المدَّة مع مكابدتهم عناء اشدّ . وكذا قل عن العبرانيَّة

٢) راجع ايضاً مقالة حضرة الاب بطرس شبلي في الشرطونية المارونية (المشرق ٣ : ٦٤٠)

لكن هذا الموضوع الذي يهمّنا للغاية ليس من مدار هـذه المقالة وانما استطردنا اليه لرغبتنا الشديدة في تقدُّم الشرقيين الادبي والعقـلي وبلوغهم المراتب العالية التي ادركها ابناء الغرب ولا يزالون يتعدَّون منها الى اسمى الذرى. وعلى كل حال ففي مطالعة تآليف الآباء واللاهوتيين وسائر الكتبة من قدماء النصـارى جانب عظيم من اسباب الترقّي في معارج الفلاح الادبي والعلمي والديني. وهذا حسبنا في هذه العجالة

جدول

للكتبة الكنسيين في القرون الاولى الخمسة للنصرانيَّة ✲

اكليمنس الرومي تلميذ بطرس الصفا (ي) † نحو ٩٨	القرن الثالث
برنابا تلميذ الرسل (ي)	اوريجانوس الاسكندريّ (ي) ١٨٦–٢٥٤
اغناطيوس الانطاكي (ي) † ١٠٧	قبريانوس الافريقيّ (ل) † ٢٥٨
بوليكاربوس تلميذ يوحنا الانجيليّ (ي) † ١٥٥	غريغوريوس العجائبيّ (ي) ٢١٠–٢٧٠
بابياس اسقف هيَرَابوليس (ي) † في منتصف	اوسابيوس القيصري المؤرّخ (ي) نحو ٢٦٥–٣٤٠
القرن الثاني	اثناسيوس الاسكندري (ي) نحو ٢٩٦–٣٧٣
قوادراتوس الاثيني (ي) عاش في القرن الثاني	هيلاريوس اسقف مدينة Poitiers (ل) † ٣٦٦
يوستينوس الفيلسوف الفلسطيني (ي) ١٠٠–١٦٦	مار افرام السرياني (س) † ٣٧٣
ثاوفيلس الانطاكي (ي) † نحو ١٩٠	كيرلس الاورشليمي (ي) ٣١٥ – ٤٠٣
ايراناوس اسقف ليون (ي) نحو ١٢٥– ٢٠٢	ابيفانيوس الفلسطيني (ي) ٣٢٥ – ٤٠٣
هجزيبوس المؤرّخ (ي) عاش في القرن الثاني	غريغوريوس التريتري (ي) ٣٣٠ – ٣٩٠
اثيناغوراس الفيلسوف (ي) 〃	باسيليوس الكبير القيصري (ي) ٣٣١ – ٣٧٩
ابوليناريوس اسقف هياراپوليس (ي) 〃	امبروسيوس اسقف ميلانو (ل) ٣٤٠ – ٣٩٧
مَليتُون اسقف سَرْدِ (ي) 〃	يوحنا فم الذهب (ي) نحو ٣٤٤ – ٤٠٧
اكليمنس الاسكندري (ي) نحو ١٩٠ – ٢١٥	ايرونيموس (ل) نحو ٣٤٠ – ٤٢٠
ترتوليانُس الافريقي (ل) نحو ١٦٠ – ٢٣٠	اغسطينوس الافريقي (ل) ٣٥٤ – ٤٣٠
هيبوليتوس الرومي (ي) † في الثلث الاول من	كيرلُس الاسكندري (ي) نحو ٣٧٠–٤٤٤

✲ (تنبيه) قد ضربنا عن ذكر اسماء بعض الآباء وعدَّة من الكَتَبة فرارًا من الاطالة. ففي ما دُوِّن في هذا الجدول الوجيز كفاية للغرض المقصود اذ يرى القارئ ان تتابع المؤلفين في القرون الاولى للنصرانية كسلسلة متواصلة. ثمَّ اعلم ان العلامة † تدل على سنة الوفاة. ويُراد بالحروف ي ل س ان الكاتب ألَّف كتبهُ باللغة اليونانية او اللاتينية او السريانيَّة

النحل وجناها

نبذة الاب لويس شيخو اليسوعي

ليس بين الهوامّ طائرٌ جمع الله فيهِ من العجائب ما جمعهُ في النحل . قال قسطا بن لوقا النصراني الملكيّ في كتاب الفلاحة اليونانيّة : ان النحـل تحاكي الطير والبهائم والهوامّ وتشبهها في كثير من لطيف امورها وهي اشبه بسؤاس المدن الكثيرة الاهل من ذوي المهارة والعلم بالامور الغامضة والتدابير الخفيّة . فانّها تجمل عليها مقدّماً ورئيساً وتتّفق جماعتها على ما فيهِ مصالحها وانتظام امورها . ثمَّ انّها تجتني ما بدا لها من الشجر وسائر النبات فتأكل منهُ فمن ذلك ما يصير عسلاً ومنهُ ما يصير شمعاً فتبني مساكنها من الشمع بنياناً تتحيَّر فيهِ عقول البشر من حسن الشكل والتنسيط والمنافع . ومن عميق لطفها بما يصلحها انّها تعلم من ضعفها انّها غير مقاومة لكثير من الآفات اللاحقة بها فتسدّ لذلك عشّها وتحصّنهُ بالاعوجاج والإظلام وتجعل ابواب عشها التي تخرج منها من قدْرٍ لا يُنتفع بهِ تحصيناً لبيوتها . واذا رابها شيء من الهوامّ اجتمعت عليهِ وقاتلتهُ الى ان تقتلهُ ومن امر النحل انها لا تقرب قذرًا ولا تمسّ نتناً من لحم او من ادم . ولا تقرب الّا الشجر وسائر ما يستحلى من النبات فجميع ما تأكلهُ نظيف وكذلك ما تأتي بها الى اعشاشها . ومن امر النحل انّها لا تضرّ بشيء من معايش الناس وان اضرَّ بها احد علقت بن التمس ذلك منها . . .

على انّنا في هذه النبذة الوجيزة لا نريد ان نتقصّى اوصاف النحـل وعجائب اخلاقها فانَّ ذلك يؤدّي بنـا الى الاسهاب المملّ ويقتضيهِ كتاب موسَّع فضلًا عن الصفحات القلائل انّما نكتفي اليوم بذكر جنى النحل وعسلها اللذيذ

كانت بلاد الشرق عموماً وبلاد الشام خصوصاً ممتازةً في غابر الزمان بكثرة عسلها حتى انَّ الله عزَّ وجلَّ لمَّا اراد تعريف ارض الميعاد التي جعلها ميراثاً لشعبهِ وصفهـا مرارًا بكونها ارضاً تدرُّ اللبن والعسل . ولا غرو فان النحل تجد في سهولها وجبالها كلَّ ما تحتـاج اليهِ لتأتي بجناها الطيّب . فلذا كان العسل في الزمن القديم يعدُّ من اسباب الثروة في سوريَّة وكان الفينيقيُّون يتاجرون بهِ و يربحون منهُ الاموال الطائلة

ولكن بئس الدهر وصروفهُ فانهُ ذهب بهذه التجارة الرابحة كما أقفل في وجه الوطن كثيرًا من ابواب الارتزاق والمكسب

الا اننا نودّ لو عاد الاهالون الى تربية النحل لما يترتّب على جناها من الفوائد ولقلّة ما تقتضيه منهم تربيتها من النفقات والعناء. قال حضرة الاب ميشال جوليان اليسوعي في مقالة افرنسيَّة حسنة كتبها في هذا الموضوع: « لا حاجة لتربية النحل الى الحقول الواسعة بل يكفيها كوارة صغيرة من الخشب او الطين. فانَّ في عملها لتجارةً رابحة بلا رأس مال. فانَّ النحل تقوم وحدها بمعاشها وتسعى وراء قوتها تجنيه من ازهار الحقول واذا دخلت البساتين فامتصَّت أرْي زهورها فلا تلحق باصحابها ضررًا البتَّة بل تفيدهم لانها تنقل غبار اللقاح من الذكور الى الاناث ولا تؤذي الشمرة في شيء. اهلًا». وممَّا صحَّ بالاختبار انَّ الاشجار المثمرة وجفنة الكرم والزروع باجناسها والاعشاب المتَّخذة لقوت الدواب يزيد دخلها ويتحسَّن ثمرها اذا كانت النحل تتردَّد اليها وتجني الأرْي من زهورها واوراقها

ثمَّ انَّ بلادنا اصلح ما يكون لتربية النحل لخلوّها من البرد القارس الذي يفني النحل في بلاد الشمال ومن الرطوبة التي تفسد العسل فضلًا عن انها غنيَّة بالازهار العطريَّة الذكيَّة العرف التي تزيد العسل طيبًا وثمنًا

هذا وان ارباب الزراعة في اوربَّة لم يهملوا تربية النحل لعلمهم بانها تكفل لألوف من الناس بالارباح الواسعة. وقد كدُّوا ذهنهم لايجاد وسائل جديدة تضمن لها وفرة العسل فدرسوا طبائع النحل واختبروا عاداتها ولحظوا الزهور التي تأنس اليها وتحسّن جناها وتغزر مادتها. فمنهم من اخترع كوائر على نمط جديد تأوي اليها وهي على شكل جرّارات بديع ومنهم من جعل للنحل شهادًا صناعيَّة كأنها الشمع في العين يضعونها في الكوائر فتملأها النحل عسلًا صافيًا غزيرًا بلا شمع فيشتارها العسَّال مرارًا في السنة ثم يعيدها الى مكانها واكثرهم يجتهدون في توفير الزهور العطرة التي تستطيبها النحل كالخزامى والصعتر وغيرهما فيزرعونها بجوار الكوائر فتجتنيها النحل بلا عناء.

امَّا خواصُّ العسل وفوائدهُ فكثيرة:

١ اولها انهُ من ألذّ الاطعمة التي يقتات بها الناس لا يختلف في ذلك اثنان.

وزد على انهُ قوت مغذٍ نافع لاسيا للاطفال فانهُ يدفئ المعدة وتنبلهُ الشهوة دون كراهية ومما يزيد في فضلهِ انهُ من الاطعمة التي لم يتمكن المخرقون واهل المكر ان يتلاعبوا فيها بالتريف اللهم اذا بقيت في شهدها

٢ ومن فوائد العسل انهُ يجوز استعمالهُ في كل المواد التي يدخل اليوم في تركيبها السكّر. وكذا فعل الاقدمون قبل اكتشاف السكّر وشيوعهِ في البلاد المتمدنة منذ نحو ٥٠٠ سنة. وقد اخذ مؤخرًا احد الكرّامين المشتهرين المسيو لوغرا غاليو (Le-gras-Gaillot) يطيّب بالعسل خمر شمبانية المشهور بدلًا من السكّر القند فتحسّن بذلك طعمها

٣ ومن فوائدهِ ايضًا انهُ يُتخذ لكثير من الحلويات والقطائف والمربيات والاثمار المجففة والاشربة فيحصل المشترون بتعسيلهِ مبالغ وافرة

٤ اما منافع العسل الطبيّة فلا تكاد تحصى فانهُ يعالج بهِ كمسهل لين يقي اعتقال البطن وكدواء يشفي امراض الحلق والخناق ويُتخذ كرهم يُسكن آلام الجراح وكان العرب يستعملونهُ في علاج النواسير والقروح الغائرة وكانوا يقطرونهُ فاترًا في الاذن اذا ورمت فيسكن ورمها ودويها وتبرأ من اوجاعها وكذلك كانوا يفعلون في اوجاع العين ولا يزال قوم على هذه العادة الى يومنا. وكانوا يطلون بهِ رؤوس الاطفال فيقتل الصئبان والقمل المنتشرة فيها وكانوا يُلعقونهُ لمن عضهُ الكلب الكلِب فينتفع بهِ الى غير ذلك مما لا يسعنا هنا تعدادهُ

٥ ومن اكتشافات السائلين الحديثين ان الشوكولاتا المصنوعة بالعسل بدلًا من السكّر أفضل للصحة واطيب للذوق. وقد اتّصل احد الكيمويين الحديثين المسيو بوله (Poulet) ان يجمل العسل جامدًا فيخلطهُ بالكاكاو ويصنع منهما صفائح صُلبة يمكن المتاجرة بها ونقلها الى البلاد النائية (١

٦ ومن منافع العسل اشربة كثيرة يصطنعها ارباب الصناعة يدخل العسل في تركيبها وكلها لذيذة الطعم سلسة المساغ. واشهر هذه الاشربة ما يُعرف بشراب العسل (hydromel) وهو شراب طيّب يُحصل عليهِ بتخمير العسل وذلك بان يُمدّ الى كمية معروفة من العسل فيصفّى ويغلى ثم يُجعل في الشراب ويُمزج بعقاقير كالفلفل

(١) راجع مجلة الطبيعة La Nature, 31 Déc. 1898, p. 74

والسنبل وغير ذلك ثم يوضع في الشمس اياماً. وقد وجد المسيو جَكمين(Jacquemin) تلميذ العلامة يستور طريقة سهلة لصنع شراب العسل فانهُ يمد الى حوالة خميرة الشراب فيذرُّها في العسل المليّ فينال شراباً من العسل طيباً يباع عند الخمّارين يشبهُ بطعمهِ ولونهِ خمر شمبانية الشهير

٧ وقد جعل بعض الكيماويين يصطنعون خمراً بل اصنافاً من الخمر (œno - meles) يتّخذونها من العسل فمن يشربها لا يشكّ في انها احدى الخمور المشهورة المعصورة من الجفنة . وقد اشتهر في صنعها المسيو بيكار (Péquart)

٨ اما المسيو فلندر (Flandre) المتولي تقطير الخمور في مدينة ريمس فانهُ توصّل الى ان يصفّي العسل من كلّ شوائبهِ فيجعلهُ كالماء الزلال ويصطنع منهُ اشربة غاية في اللذة . وفي السنة الماضية تمكّن من تقطير العسل فنال منهُ مُسكراً كالعرق لا يختلف عنهُ شيئاً

هذه بعض منافع العسل سردناها هنا للقرَّاء ليروا ما في مزاولة تربية النحل من الجدوى . لاسيا وان سواحلنا واعطاف جبالنا توافق ايَّ موافقة اصطناع العسل الطيّب لاعتدال هوائها ووفرة زهورها . فاذا اتّسعت هذه التجارة اتت للبلاد بارزاق جديدة ومنافع عديدة . وفّق الله الاهلين الى كلّ عمل نافع ومشروع مفيد

مجلّة الضياء ولغة الجرائد

لجناب الكاتب الفاضل رشيد افندي الشرتوني محرّر البشير ومدرّس الخطابة في كليّة القديس يوسف

كتبنا في العدد الثالث عشر من مجلّة المشرق كلاماً تحت العنوان السابق ذكره وقد اثبتنا فيه بعض ما خطر لنا من الملاحظات على حضرة رصيفنا اللغوي الشيخ ابرهيم اليازجي صاحب مجلة الضياء في ما انتقدهُ على كَتبة الجرائد وكنّا نتوقّع من كرمهِ ولاسيّما بعد أن اعلن مراراً كلفهُ بخدمة اللغة وتنزيه الاقلام عن شوائب الخطإ ان يُقابل ملاحظاتنا بمثل ما قابلها بهِ كثيرون من جلّة اهل الادب والفضل لاننا اسندناها الى نقول أئمة اللغة الذين يُعوَّل عليهم عند الاختلاف . ولكن جاءنا الجزء

الثاني والعشرون من مجلة الضياء الموما اليها حاوياً عكس ما كنا نأمل فقد قال فيهِ حضرة الشيخ ما نصهُ :

« قبل ان نمسح القلم من هذا الفصل لا بدَّ لنا من ذكر أمرٍ فاجأتنا بهِ احدى المجلات الأدبية بما لم نتوقَّعهُ ولعل ذكرهُ لا يخلو من فائدة وتبصرة. وذلك ان بعض رصفائنا الالبَّاء توهم اننا نريد من هذا البحث مناقشة اصحاب الجرائد فقام يردُّ علينا ويتمحَّل الحجج والاعذار تصحيحاً لبعض ما نبهنا عليهِ من الاغلاط — ولعلهُ توخى منها ما كان قد أتفق لهُ السقوط فيهِ — فكدَّ ذهنهُ وأسهر جفنهُ في البحث وتقليب الصحف ثم جاءنا بامور حاصلها تخريج بعض تلك الاوهام على بعض المذاهب الساقطة واحالة بعضها على بعض اللغات المتروكة وتوجيه بعضها على وجوه من التأويل والمجاز مما نحن اعلم بهِ (!!!). ولو ذهبنا الى التخريج كما يريد هذا الاديب لما كتبنا في هذا المعنى حرفاً اذ قلَّما تجد تركيباً مخالفاً للصحة الَّا ولهُ وجه يُردُّ اليهِ. على ان التخريج انما يُنحى في ما يصدر عن قائلهِ سهواً او لضرورةٍ لا في ما يرتكب عن جهل او في سعة من اجتنابهِ ولا على ان يُجعل قاعدة يُسوَّغ بها ركوب الشطط ثم تتكلَّف لهُ الاعذار الباردة والحجج الواهنة وهذا القدر كافٍ في هذا المقام والسلام على من أتَّبع الهدى »

نقول أمَّا كون الشيخ لم يكن يتوقَّع ما ابديناه لحضرتهِ من الملاحظات فسببهُ أنهُ كان على يقين من صحة انتقاداتهِ فلا عتب عليهِ ولكنهُ يؤاخذ على استمرار هذا اليقين بعدما ابنَّا لهُ بالدليل الساطع أنهُ لم يقع في بعضها مواقع الصواب. وقوله اننا كددنا الذهن وأسهرنا الجفن في البحث وتقليب الصحف فهب أنهُ صحيح أيحقُّ لهُ ان يلومنا على الاشتغال في خدمة اللغة وإعمال الروية والبحث في مسائلها وقوفاً على حقائقها. أو ليس حضرتهُ ايضاً يكدُّ ذهنهُ ويقلّب الصحف للبحث عن الامور اللغوية التي لا تُستفاد الَّا من المطالعات. ومع ذلك فانَّ دعواه هذه غير ملاقيةٍ للواقع لان أحد الاصدقاء عرض علينا ذات يوم مجلة الضياء وسألنا رأينا في ما تنتقدهُ على لغة الجرائد فتصفَّحناه الماماً وبدون كدِّ ذهن واسهار جفن بدت لنا بعض مؤاخذات فتناولنا في الحال كتب اللغة التي بين ايدينا فوجدنا انها تصوِّب ظنَّنا فبادرنا الى كتابة فصل في مجلة المشرق نعرض فيهِ ما تأكَّدناهُ فكان نصيبنا من حضرة الشيخ انهُ وصفنا — ولكن دون ايراد أقلّ دليل — بكوننا « نتمحَّل الحجج والاعذار الباردة

وتخرج بعض تلك الاوهام على بعض المذاهب الساقطة » الى آخر ما هنالك مما لم نكن نتوقعهُ من اديب

وقولهُ اننا توخينا تصحيح الاغلاط التي اتفق لنا السقوط فيها فنجيب عليهِ اوَّلًا اننا كثيرنا من الناس عرضة لارتكاب الشطط وليست العصمة الَّا لله تعالى باريء الاكوان فلو سقطنا في غلط ثم بان لنا انهُ غلط لا نخجل من الاعتراف بهِ علماً منا بان الاعتراف بالخطإ مزيَّة حسنة تكسبنا في عين الشيخ وغيرهِ اعتباراً فان الاصرار على الشيء مع وضوح الدليل على نقيضهِ عنادٌ ومكابرة مذمومان

وثانياً ان ما يحسبهُ الشيخ غلطاً ليس غلطاً بل هو الصواب بعينهِ ولئلاً نوصف بما لم نأتِهِ نعيد بعض ما سبق لنا ذكرهُ من الملاحظات حتى يتأكد القرَّاء ان دعوى الشيخ علينا خالية من دليل :

— كان انكر الشيخ استعمال حوَّر بمعنى نقَّح وهذَّب قائلًا ان أصل معناها في اللغة التبييض . فاجبناه ان الكتبة يعرفونها بهذا المعنى ولكنهم ينقلونها منهُ الى المجاز مريدين بها اعادة النظر والمراجعة تشبيهاً لذلك بتبييض الثوب فاين يرى اننا أوَّلنا « تأويلًا فاسدًا » ؟ . أما يعلم انهُ لو سُدَّ باب المجاز في وجوه المتكلمين والكاتبين لضاقت عليهم مذاهب التعبير عن كثير مما يريدون ؟ . أما يرى ان نقَّح وهذَّب اللتين يريد اقامتهما مقام حوَّرها متنقولتان عن حقيقة معناهما الى معنى الاصلاح والاخلاص ؟ وهل يحسب ان نقل اللفظ الى المعنى المجازي يجب ان يكون مدوَّنًا في كتب اللغة ؟ فان ذهب اليهِ وجب حرمان كلّ متأخر من هذه النعمة التي تمتَّع بها المتقدمون

— قال الشيخ ايضًا ان استأسر بمعنى استسلم ولا ترد بمعنى أسر فاجبناه ان قولهُ منقوض بما رواهُ المطرّزي الشهير في كتاب المغرب حيث اورد حديث عبد الرحمن وصفوان وهو « انهما استأسرا المرأتين اللتين كانتا عندهما من هوازن » فهل يحسب الشيخ هذا « وهمًا او حجَّةً واهنة » ؟

— انكر الشيخ ايضًا قولهم « فعل هذا لصلحة أهل جلدتهِ يريدون قومه واهل جيله » وعنَّف الكتبة جدًّا على هذا الاستعمال قائلًا انهم يتناقلونها بعضهم عن بعض من غير بحث ولا تنقيب وبعد ذكر الاصل فيها كما نقلناه عنه في مقالتنا السابقة ختمهُ بقولهِ « لا معنى ان نقول اهل جلدة الانكليزي مثلًا واهل جلدة الفرنسوي

والالاني لانَّ لكلّ هؤلاء جلدة واحدة »

أمَّا نحن فأوردنا من كلام التاج ما يثبت عكس مدَّعى الشيخ وهو « وممَّا يُستدرك عليه (اي القاموس) قومٌ من جلدتنا اي من انفسنا وعشيرتنا » او بالحري من قومنا واهل جيلنا فاين يرى الشيخ هنا اننا « أحلناه على لغة متروكة وعذر بارد » كما يقول واذا كان لا يُعوَّل على نصوص اصحاب المعجمات ومشاهير البلغاء في مثل هذه المسائل فعلى من المعوَّل يا ترى ؟ ومن لهُ الحكم فيها ؟

والظاهر ان الشيخ ذهل ما كان قد خطَّهُ بقلمهِ في الجزء الرابع من مجلَّتهِ في الصفحة ١٠٤ منها عند كلامهِ على غوائل الحرب حيث يقول « وقد فُقِدت من الانسان عاطفة الرقة والحنان فانقلب وحشًا ضاريًا ينقض على ابن جلدته فيمزقهُ كل ممزَّق . . الخ » فما معنى « ابن جلدته » هنا سوى الخي في الانسانيَّة كيفما كانت جلدتهُ سوداء او بيضاء او صفراء ؟ . ارأيت كيف ان الشيخ يستعمل ابناء جلدة الانسان لاهل جيلهِ بل لجميع اخوانهِ في البشريَّة دون تفريق في مسألة الجلدة وينكر استعمالها على غيرهِ . أفما كان ينبغي ان يجتنب ما ينتقدهُ على سواه ؟ ولا اخالهُ هنا يقول اننا « تكلَّفنا عذرًا باردًا »

— انكر حضرة الشيخ وجود رحوم في اللغة بمعنى رحيم اي راحم فخالفناه في ذلك بالاعتماد على ما قرأناه في لسان العرب لابن منظور الذي يقول « رحيم فعيل بمعنى فاعل كما قالوا سميع بمعنى سامع وقدير بمعنى قادر وكذلك رجل رحوم وامرأة رحوم » ومعلوم ان لسان العرب هو المعوَّل عليهِ في المسألة فأين « التمحُّل » ؟

— قال الشيخ ان خَصْم لا يُجمع على أخصام بل الصواب جمعهُ على خصوم . فاوردنا كلام تاج العروس وقد جاء فيهِ ما نصُّهُ : « الأخصام جمع خَصِم ككَتِف وأكتاف او جمع خَصْم كفَرْخ وأفراخ او جمع خصيم كشهيد وأشهاد » فهل يحسب هذا « تخريجًا او اعتذارًا او كلامًا ساقطًا » ؟

— خطَّأ حضرة الشيخ لسان الدين بن الخطيب في قوله « جدَّدنا كربها واستوعبنا حرقها وتخريبها » فادَّعى ان خرَّب بالمجرَّد لا وجود لهُ . فأتيناهُ اذ ذاك بنصّ كلام الفيروزابادي الذي يقول في قاموسهِ « خرب الدار خرَّبها كأخربها » فهل هذا « مذهب ساقط او لغة متروكة » ؟

هذا بعض ما تضمنتهُ مقالتنا السابقة من الملاحظات ولا ريب ان القارئ يرى أنها مستندة على ادلة راهنة لا كما وصفها الشيخ بأنها مخرَّجة على مذاهب ساقطة ولغات متروكة وموجهة على وجوه من التأويل والمجاز. وقس على ما ذكرنا منها ما لم نذكرهُ حيًّا بالاختصار

وقد كنّا اقتصرنا في مقالتنا السابقة على ثلاث عشرة ملاحظةً والآن نضيف اليها ملاحظات أُخرى غير قاصدين التعنُّت كما ذهب اليه وهم الشيخ بل أننا نؤثر ما يؤثرهُ حضرتهُ من خدمة اللغة

١ قال الشيخ في جملة انتقاداته « يقولون قد أصبح هذا الأمر اصلح من ذي قَبلُ يعنون أصلح ممَّا كان عليه من قَبلُ فيحرفون اللفظ والمعنى جميعاً والذي يؤخذ من نصوص اللغة أنك تقول سآتيك من ذي قِبَل وقِبَل اي في ما يُستقبل من الزمان »

ونحن نعجب من الشيخ كيف يريد ان يُقيِّد الاقلام في دائرة ضيقة لا تخرج عنها وهو يعلم انها تأبى ان تتقيَّد ما دامت اللغة تفسح لها مجال التصرُّف. ويا ليت شعري هل يمكن للشيخ ان يدَّعي بان كتب اللغة تدوّن كل صور التراكيب ؟. ومن اين لهُ ان يتَّهم الكتبة بالتحريف وينسب لهم الجهل في حين ان سوادهم الاعظم من ذوي الاطلاع الذين لا يجهلون ما جاءت بهِ نصوص اللغة ؟. وكيف يريد اجبارهم على اتباع هذه النصوص ولا يسوغ لهم ان يحتذوا حذوها ؟. واي مانع يمنع من القول « اصبح الامر أصلح من ذي قَبلُ » اي من الذي قَبلُ قياساً على قولهم سآتيك من ذي قِبَل اي في الذي يُستقبل من الأيام. وهل صار يستحيل على من يمسك القلم ان يركّب الالفاظ كما يستدعيهِ المعنى الذي يريدهُ. ولو ان كلمة « ذو » وكلمة « قَبلُ » غير واردتين في اللغة او ان ارباب اللغة نصُّوا صريحًا على عدم جواز تركيبهما معاً لوجب ان نقبل كلام المنتقد ولكن الحال بعكس ذلك

٢ وعاب ايضاً استعمال احتمى عن ذِكر الامر بمعنى تحاماهُ قائلاً « ان احتمى لم يأتِ في شيءٍ من كلامهم بهذا المعنى ولا سمع في كلام العامَّة »

قال لسان العرب حمى المريض ما يضرُّهُ حِميةً منعَهُ إياهُ واحتمى هو وتحمَّى امتنع ». أفلا يجوز ان يكون المعنى في قولهم « احتمى عن ذِكر الامر » امتنع عنهُ كما يمتنع المريض عمَّا يضرُّهُ ؟ أفلا يسوغ في عرف الشيخ الخروج باللفظ الى المجاز ألا

في الكلمات التي نصّت عليها المعجمات او مجلة الضياء. فان صحَّ ذلك وجب حذف باب المجاز من كتب البيانيين لانهم يطلقون الحرية فيه لارباب الاقلام ولا يحصرونهُ في الفاظ وتراكيب معلومة

٣ وانكر ايضاً قولهم « اذا لا سمح الله حدث كذا او ان لا سمح الله حدث كذا » فقال « انهم يفصلون بين اذا وما أُضيفت اليه وبين إن وشرطها وكلاهما لا يجوز فالصواب تأخير الجملة المعترضة وقد وقع مثل هذا لبديع الزمان في رسائلهِ الى الامام ابي الطيب حيث يقول وان والعياذ بالله لم يوافق مراده قدرًا »

والجواب ان تأخير الجملة المعترضة هنا يخفّف من قوّة الكلام كثيرًا فتقديمها اذًا واجب للدلالة على اهتمام المتكلم بسؤالهِ عدم حدوث الشرط قبل الاخبار بهِ وهذا هو مقتضى العقل ولو ان هذا الاقحام يخلّ بشيء من قواعد اللغة لما كان جرى عليهِ بديع الزمان الذي كان يجب على الشيخ ان يتّخذهُ حجّة بدلًا من ان يخطّئهُ. ولا يخفى ان النحاة قد اهتمّوا فقط بصحة التراكيب دون التفات الى شيء. آخر الَّا انَّ البيانيين نظروا الى ما هو اسمى من ذلك اي فصاحة العبارة وبلاغتها وفي جملة ما اوجبوهُ تقديم المهم في المعنى ولذلك فلا نعجب من بديع الزمان اذا خالف نصوص النحاة ففصل بين اذا وما أُضيفت اليه بجملة معترضة اولًا لان الذي يهمّ في عبارته هو تقديم الجملة المذكورة قبل الاتيان بفعل الشرط. وثانيًا لان القواعد اللفظيّة كثيرًا ما لا تراعى اذا خالفت ما هو ارفع منها اي القاعدة البيانيّة فكم من كاتب بليغ مشهود لهُ بالفضل يدوس كثيرًا من قواعد النحو دوسًا لاعتراضها في سبيل فصاحة التركيب. ومن شاء منًا امثلةً على صحة ما نقول فلا نضن عليهِ بها

٤ وانكر الشيخ ايضًا على الحرث ابن حلزة اليشكري صاحب المعلّقة المشهورة تأنيث الضوضاء في قوله :

أجمعوا امرهم بليلٍ فلمَّا اصبحوا اصبحت لهم ضوضاءُ

قال « فأنّث الضوضاء على توهُّم انهُ من باب شحناء وبغضاء »..

قلت وهنا وهم الشيخ فقد جاء في لسان العرب لابن منظور « قال ابن سيده وعندي ان ضوضاء ههنا فعلاء » اي من باب فعلاء كشحناء. فمقتضى كلامه اذًا انها

مؤنثة ولا يخفى على احد مقام ابن سيده في اللغة حتى كان اكثر اعتماد اللغويين عليه وابن منهُ ابناء هذا الزمان ؟

وجاء في اللسان ايضاً الضوضـاء والضوضا اصوات الناس وجلبتهم فتقتضي هذا السرد ايضاً ان الضوضاء مؤنثة

ثمَّ انَّ قول الشيخ بتذكيرها لكون همزتهـا منقلبة عن واو لا يصلح حجَّة فهذه همزة سماء ايضاً منقلبة عن واو ومع ذلك فان سماء من الالفاظ المؤنثة

على اننا لو جارينا الشيخ وقلنا ان ضوضاء لفظ مذكَّر فلا يمكن مع ذلك ان يخطأ الحرث بن حلزة على تأنيثه فقد نصَّ البيانيُّون ان الشعراء قد يؤنثون المذكَّر على تأويله بمرادف لهُ مؤنث وعلى هذا القياس تُؤوَّل الضوضاء هنا بالجلَبة وينتفي وجه الانتقاد. وكثيرًا ما ورد مثل ذلك في الشعر القديم قالت الدعجاء بنت المنتشر ترثي اباها:

انى اتتني لسان لا أسرُّ بهـا من علوُ لا عجب منها ولا سخرُ

قال في الخزانة اللسان هنا بمعنى الرسالة وارادت به نعيَ المنتشر ولهـذا أنثت لهُ الفعل فانهُ اذا أُريد به الكلمة او الرسالة يؤنث واذا كان بمعنى جارحة الكلام يذكَّر. وورد مثلهُ ايضاً في شعر المتأخرين قال فارس الشدياق:

جبلت به رأسي خلافاً للنسا

فأنث الفعل على تأويل الرأس بالهامة

٥ ومن انتقادات الشيخ ايضاً «يقولون هو عدوٌّ لدود وهو الدّ اعداء فلان يريدون باللدود الشديد العـداوة وهو خلاف المعروف في استعمال العرب لان اللدود عندهم هو الشديد في الخصومة»

قلنا وهنا لا يصحُّ انتقاد الشيخ لانَّ شدَّة المداوة تستلزم شدة المخاصمة فوصف العدوّ اذًا بشدَّة المخاصمة التي هي من لوازم شدَّة العداوة بمثابة وصفه بشدَّة العداوة فلا لوم اذًا على من يقول «عدوٌّ لدود» بمعنى شديد العداوة

٦ ومنها ايضاً انتقادهُ على العلّامة الحريري قولهُ في مقامته الحجريَّة «اما انك لو ظهرت على عيشي المتكدر لمذرت دمعي المنهمر» وقال ان كتب اللغة لا تذكر انكدر بمعنى تكدَّر واستشهد بمـا في لسان العرب حيث قال انكدر يعدو اسرع وانكدر عليهم القوم اذا جاؤُوا أرسالًا حتى ينصبوا عليهم وانكدرت النجوم تناثرت.

وختم الشيخ ذلك بقوله « لم يحكوا فيه غير ذلك »

ونحن نكرّر القول هنا لحضرة الشيخ ان أضخم ما أُلف من المعجمات العربيَّة مقصّر عن الاحاطة باللغة فاذا كان لسان العرب مع سعتهِ لم يثبت انكدر فقد اثبتها البيضاوي في تفسير سورة التكوير قائلًا انكدر بمعنى انقض او أظلم من كدرت الماء فانكدر. واثبتها غيرهُ ايضًا من مفسري القرآن بمعنى تغيَّر ولا يمكن ان نتَّهم هؤلاء الائمة بالجهل والتقصير بل الواجب ان نتخذهم حجة فكان الاليق بحضرة الشيخ ابرهيم قبل الاقدام على تخطئة الحريري الذي هو من كبراء الكتَّاب وجهابذة اهل الانشاء ان يحسن التدبُّر والتبصُّر

٧ ومنها « يقولون أزورهُ رغمًا عن هجرهِ لي » قال « ولا معنى للرغم هنا انما هو من التعريب الحرفي والذي يقال في هذا المقام ازورهُ مع هجرهِ لي او على هجرهِ لي وهو المعنى المراد من التعبير الافرنجي »

قلنا ان التعبير الذي يريدهُ حضرة الشيخ لا يفيد ما يفيدهُ التعبير الذي عرَّبهُ كتبة الجرائد عن اللغات الافرنجيَّة لان قولهم « ازورهُ بالرغم عن هجرهِ » معناهُ ازورهُ متغلبًا على هجرهِ بالقهر او ازورهُ راغمًا ما القاهُ من مقاومة هجرهِ فهو اقوى وابلغ من قول القائل « أزورهُ مع هجرهِ » فان معناه ازورهُ وهو هاجرٌ لي او انَّ زيارتي لهُ يصاحبها الهجر من قبلهِ وعلى هذا فمعنى المقاومة والقسر منتفٍ من التعبير الثاني الذي يريدهُ حضرة الشيخ. فقد رأيت اذًا ان للرغم هنا معنىً حسنًا لا وجود لهُ في قولهم « أزورهُ مع هجرهِ »

امَّا الاحتجاج بكون التعبير معرَّبًا بالحرف عن الافرنجيَّة فهذا لا يقدح في صحَّتهِ وبلاغتهِ ما دام حسن السبك ومفيدًا معنىً جديدًا وبيّنًا

٨ وقال الشيخ ان البيت المشهور

خفرت بسيف الغنج ذمَّة مغفري وفرت برمح القدّ درع تصبري

هو لابن هانئ والصواب انهُ لابن معتوق وهو من الشعراء المتأخرين والبيت مطلع قصيدة يمدح بها السيّد علي خان

٩ وعاب الشيخ على بعض شعراء اليتيمة استعمالهم اصطلح بمعنى صلح وما كان حقُّهُ ان يفعل ذلك وهو يعلم انهم كانوا من ذوي الاطلاع الواسع والادب الراجح

فاستعمالهم لهذا الحرف حجّة للمتأخرين لاسيما وان الثعالبي نفسهُ قد استعملهُ في كتابهِ لطائف المعارف المطبوع في ليدن في الصفحة ١٢٨ والسطر الثاني ومعلوم ان الثعالبي المكنّى بابي منصور كان في وقتهِ راعي تلَعات العلم وجامع اشتات النثر والنظم ورأس المؤلفين وامام المصنّفين كما وصفهُ ابن بسام في كتاب الذخيرة

١٠ انّنا نستهجن من الشيخ تعرُّضهُ لتخطئة المبرّزين من اهل الادب وجلّة المصنّفين المشهود لهم بالبراعة وسعة الاطلاع مثل الخوارزمي وبديع الزمان الهمذاني ولسان الدين بن الخطيب وغيرهم مع ان هؤلاء وامثالهم اعلى من نقد الناقدين في مسائل اللغة فقد شهد ابن خلكان ان أبا بكر الخوارزمي « كان إماماً في اللغة يُشار اليهِ بالبنان وكان احد الشعراء المجيدين الكبار المشاهير » فكيف يسوغ الاعتراض على كلمات يستعملها امام في اللغة كبير مشهور يصح بالقياس اليهِ كل من يسمي نفسهُ لغويّاً في هذا الزمان

وقال ابو منصور الثعالبي عن بديع الزمان « انّهُ كان فريد الدهر وغرّة العصر لم يُلفَ نظيرهُ في ذكاء القريحة وسرعة الخاطر وصفاء الذهن ولم يُدرك قرينهُ في ظرف النثر وملحهِ وغرر النظم ونكتهِ ولم يرَ ان احدًا بلغ مبلغهُ من لبّ الادب وسرّهِ وجاء بمثل اعجازهِ وسحرهِ · وكان يُنشَد القصيدة لم يسمعها قط وهي اكثر من خمسين بيتًا فيحفظها كلّها ويوردها الى آخرها لا يخرم حرف منها وينظر في الاربع والخمس الاوراق من كتاب لم يعرفهُ ولم يرَهُ نظرةً واحدةً خفيفةً ثم يعيدها عن ظهر قلبهِ ويسردها سردًا · وكان يُقترح عليهِ عمل قصيدة وانشاء رسالة في معنًى غريب وباب بديع فيفرغ منها في الوقت والساعة والجواب عمّا فيها · وكان ربّما يكتب الكتاب المقترح عليهِ فيبتدئ بآخر سطوره ثم هلم جرًّا الى الاول ويخرجهُ كاحسن شيء واملحه »

والآن فليحكم حضرات القراء هل من كان موصوفًا بمثل هذه الاوصاف ولاسيما تلك الذاكرة الغريبة والمبلغ العظيم من الادب يُتصوَّر انهُ لا يحفظ قواعد لغة العرب حتّى حفظها او يجهل مناحيها الفصيحة وتعابيرها البليغة وهل يسوغ الانتقاد عليهِ في امور كان هو اعلم بها واعرف ؟

واما لسان الدين بن الخطيب فقد وصفهُ مؤرّخو زمانهِ بانهُ المثل المضروب في الكتابة والشعر فكيف اذًا تسوغ تخطئة من كان مثلًا مضروبًا في الكتابة والشعر ·

ولو ان الشيخ مثلاً انتقد بعض المعاني في كتابة المؤلفين المشار اليهم او قال ان بعض مناحيهم في التعبير صارت اليوم مهجورة لكان في الامر ما فيه ولكنهُ يعيب عليهم استعمال بعض الالفاظ بحجة انها غير واردة في المعجمات وهي حجَّة لا معوَّل عليها لان هؤلاء المؤلفين ممَّن يصلحون ان يُعتمد عليهم في اللغة كالمعجمات

١١ بقي علينا ان نقول ان تخطئة حضرة الشيخ ابرهيم لشعراء الجاهليَّة هي ايضاً في غير محلّها بل لا تجوز بحال من الاحوال. فقد خطأ عدي بن زيد في استعماله موثوق بمعنى موثق وقال انَّما وقع لهُ ذلك لانهُ كان قرويًا كما ذكر الاصفهاني في ترجمته »

وبالتالي قال ان استعمالهُ موثوقاً بمعنى موثق لغة قرويَّة غير فصيحة لكان الامر محمولاً ولكن نسبة الخطاء اليه تهوُّر من الشيخ لان عديًا من الذين جُمعت عنهم اللغة واذا كان قرويًا فقرويَّتهُ لا تدلّ على انهُ يخطئ في ما يستعملهُ من التعابير والالفاظ بل غاية ما يمكن تقديره انهُ لمَّا كان من اهل القرى استعمل كلمات وتعابير غير مألوفة عند اهل المدن ولذلك عدُّوها خارجة عن دائرة الفصاحة في ذوقهم ولو انها كانت في أعلى درجة من الفصاحة في ذوق اهل القرى

ولعدي بن زيد منزلة عالية بل ممتازة في اللغة حتى ان اصحاب المعجمات كثيرًا ما يستشهدون بشعره كما يعرف ذلك من طالع لسان العرب. فكما ان من هو اسبق من اصحاب المعجمات لا يصحّ لاصحاب المعجمات تخطئتهُ لانهم يجمعون ما يجمعون عن كلامه وكلام أمثاله. كذلك من يستشهد به اصحاب المعجمات مستندين الى نظمه لا يحقّ للشيخ ابرهيم تخطئتهُ. او لم يكن الأخلق به بعد ان وجد في كلام عدي ما ليس في المعجمات ان يُحيل الذنب على اصحاب المعجمات قائلاً انهم لم يجمعوا كل لغة العرب بل فاتهم منها شيء كثير مثل وثق مثلاً بمعنى اوثق ويعلّل ذلك بيت عدي

امَّا كون المعجمات لم تحط بكل اللغة فهو ظاهر ظهور الشمس وما كنَّا نظنّ ابدًا ان حضرة الشيخ الذي قد طالما « كدَّ ذهنهُ واسهر جفنه في تقليب الصحُف » يغيب عنهُ أمر كهذا

ولو رجعنا الى رأيه لكان يجب ان نخطِّئ من يستعمل « القلاَّع » بمعنى قالع الاضراس قائلين كما يقول « انها لم ترد في شيء من كتب اللغة بهذا المعنى وان كان

لها وجه في القياس» وذلك لانهُ لم يذكرها احد من اصحاب المعجمات ما خلا الزمخشري ذكرها في غير مادتها

ولكان يجب ايضاً ان نخطّئ الاخطل في استعماله كلمة «وغّال» بمعنى الذي يغلي الثمن غير حافلين بمنزلته من الفصاحة ومقامه من اللغة ونقول ايضاً مع الشيخ انها «لم ترد في شيء بهذا المعنى في نصوص اللغة»

ولكان يجب ان نخطّئ الامام عمر في استعماله «بارح» بمعنى فارق فقد ورد في كلامه «فما بارح الارض حتى فعل الثلاث»

ولكان يجب ان نخطّئ كل من يستعمل «اتّفق» بمعنى وقع عرضاً لانهُ لم يذكرها احد من اصحاب المعجمات مع كثرة استعمالها

وكذلك يجب ان نخطّئ صاحب اللسان في قوله بمادة خصر «الاختصار في الكلام ان تدع الفضول وتستوجز الذي يأتي على المعنى» ومعنى تستوجز تختصر وهذه لم يذكرها صاحب اللسان ولا غيرهُ في مادتها

وكذلك يجب ان نخطّئ ابا تمام في قوله «بوجزة يرفض من وقعها الدم» اي بطعنة سريعة اخراج الدم . ولم يذكر الوجزة بهذا المعنى احد من ارباب المعجمات . وكذا يتعيّن أن نخطّئ أبا الاسود في استعماله مملاقاً بمعنى الكثير التملق في قوله «من لم يشب ليس مملاقاً مليقهُ» . وكل احد يعلم ان جميع الذين تقدّم ذكرهم هم وأمثالهم حجة في كل ما يستعملونهُ من الفاظ اللغة فالتعرّض لتخطئتهم تهوّر

هذا ولو شئنا ان نكثر مما اقتلتهُ اقلام اللُّغويين واستعملهُ مشاهير الشعراء والبلغاء قبل الجاهلية وبعدها لطال بنا الامر وفي ما سبق كفاية وتبصرة للاديب

كتاب
تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ولنرجع الآن الى ذكر زين الدين فنقول انّ المذكور كان يتعاطى اعمالاً لطيفةً جدّاً من النجارة . وقد رأيت من صنعته اقفالاً صغيرة لطيفة القدّ من خشب النارنج والعنّاب تُركَّب فيها تطاعيم ظريفة وكان يهديها الى اصحابه من باب اللطافة والمحبة

وكان عندهُ بعض معرفة من صناعة الطبّ ويحتكر شيئاً كثيرًا من الادوية والاشربة والكحول والدهانات برسم الثواب لينفع بذلك الناس. وكان عندهُ برٌّ وصدقة للمحتاجين وكان كثير النظر في حقّ ذوي البيوت الاصيلة يعاملهم بالاكرام يُدني فقيرهم ويوقّر صغيرهم محافظةً لسلفهم. وكان يصغّر نفسهُ مع الاجواد ويكبّرها مع الارذال والانذال فسلك احسن الطرائق وشُكرت سيرتهُ

تزوّج زين الدين دعجة بنت علم الدين الرمطوني وهي امّ اولادهِ جميعهم الآتي ذكرهم ان شاء الله. كان مولدها في نهار الثلثاء سابع عشر شعبان سنة اثنتين وسبعمائة (١٣٠٣ م). وتوفيت المذكورة الى رحمة الله نهار الاثنين رابع عشر رجب سنة ثمان وخمسين وسبعمائة (١٣٥٧ م). وتزوّج بعدها امّ نجم الدين وهي شمسة بنت فارس الدين معضاد ابن عزّ الدين فضائل ابن معضاد مقدَّم الشوف (96) بصيداء. كانت اوّلًا زوجة جمال الدين حجّي بن احمد بن حجّي فتوفّي وتزوّجها اخوهُ حسام الدين عبد القاهر وتزوّجها عمها شجاع الدين عبد الرحمان بن حجّي فتوفّي وتزوّجها زين الدين المذكور سنة تسع وخمسين وسبعمائة (١٣٥٨ م) ولم يُرزق منها ولدًا وعمّرت شمسة عمرًا طويلًا قالت: كان والدي يُحسن النجارة فآلى على نفسهِ مساعدة ناصر الدين الحسين في عمارتهِ بايّام كثيرة. وكان يومًا يجذب مسمارًا اليهِ من زاوية سقف العليّة الكبيرة وهي الزاوية الشرقيّة فوقع مع طلوع المسمار ولم يكن هناك عمارة فخيف على حياتهِ. وكان ناصر الدين يركب الى كفرفاقود يعودهُ وكنتُ كبيرةً مشتدةً وتاريخ عمارة العليّة سنة سبع عشرة وسبعمائة (١٣١٧ م). وعاشت الى بعد الثمانمائة فعلى هذا كان عمرها قريباً من المائة سنة. وكانت قبل وفاتها بمدّة يسيرة تنظم الخيط في الابرة ليلًا في نور السراج وتخيط ايضًا في نور السراج. وكانت بنتها طاوس بنت حجّي ابن احمد زوجة اسد الدين محمود قد عمّرت نيّفًا عن ثمانين سنة ولم يُنكر عليها كبرٌ فكانت كأنها في قواها وحركتها بنت خمسين سنة

(قلتُ) ولم اعرف لزين الدين المذكور مولدًا واما وفاتهُ رحمهُ الله تعالى فكانت ليلة الخميس سابع عشر صفر سنة تسع وسبعين وسبعمائة (١٣٧٧ م) وكان لهُ من العمر اربعًا وسبعين سنة وكان ضمنهُ سبعة ايام او ثمانية بحمّى دمويّة واحتاج الى الفصاد فلم يُفصد

[(١ وكانت وفاة امّ زين الدين المذكور وهي بنت زين الدين بن علي بن بحتر نهار السبت الحادي والعشرين من ربيع الأوّل سنة ست وسبعمائة توفيت بعد مولد ابنها زين الدين بمدّة قليلة فربّتهُ عمّتهُ زين الدار بنت سعد الدين خضر وهي امرأة بدر الدين يوسف ابن زين الدين علي العرامونيّ. فتربّى زين الدين المذكور عند عمّتهِ في الرأس بعرامون وكان ناصر الدين كثيرًا ما يبيت في الليل عند اختهِ في ايام عزوبيّتهِ وفي النهار يسكن في اعبيه عند عمّتهِ. قلتُ وربّما كانت وفاة امّ زين الدين بمرض النفاس لمّا ولدت ابنها فيقرّب ذلك معرفة مولد زين الدين]

(96ᵃ) واسماء اولاد زين الدين: جمال الدين محمّد وعلاء الدين عليّ وشهاب الدين احمد. وبدر الدين موسى وعيسى وسيف الدين يحيى

واسماء بناته: ستّ البنات امرأة سعد الدين خضر ابن عزّ الدين حسن وستّ العزّ امرأة ظهير الدين علي ابن علم الدين سليمان الرمطوني وستّ العدل وهي لم تتزوّج وستّ الجميع امرأة القاضي عماد الدين حسن ابن ابي الحسن ثمّ توفي وتزوّجها عماد الدين اسماعيل بن فتح الدين محمّد وسيأتي ان شاء الله ذكر اولاده ثمّ ذكر ازواج بناتهِ كلّ منهم في موضعهِ

وممّا يضاف الى ذكر زين الدين ذكر اخيهِ تقيّ الدين ابراهيم بن ناصر الدين كان ذا شكل حسن عبل الجسم شديد القول صادق الفعل لهُ قدرة على القوس القويّ ولم يكن بعد عزّ الدين احدٌ في البيت يرمي على قوس اقوى منهُ واخذ بعدهُ جواد الدين قوسهُ فاحسن الرمي بهِ. وتقيّ الدين المذكور قد اشتهر بالجودة والعقل وكان والدهُ قد افرد لهُ القاعة البرّانيّة بالقرب من البوابيّة (؟) ودارها وما حولها وهي آخر عمارة ناصر الدين. وامّ تقيّ الدين هي بنت اسماعيل بن هلال كما ذكرنا

وتزوّج تقيّ الدين المذكور نُعمية بنت علم الدين سليمان بن غلّاب الرمطوني نهار الاربعاء السادس من شهر شعبان سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة (١٣٥١ م) وتزوّج معهُ سعد الدين خضر بن عزّ الدين حسن وشهاب الدين احمد بن زين الدين وعُمل لهم عرسٌ واحد

وكان مولد تقيّ الدين المذكور ضحى نهار الثلثاء السابع عشر من جمادى الاولى

١) ما ابتداؤهُ بين معكّفين كتبهُ المؤلف في هامش الكتاب لكنّهُ اشار الى انهُ من الاصل

سنة سبع وثلاثين وسبعمائة (١٣٣٦ م) . وتوفي رحمهُ الله (97^أ) نهار الثلثاء الخامس والعشرين من شهر ذي الحجّة سنة اربع وستين وسبعمائة (١٣٦٣ م) وتأخر دفنهُ الى نهار الاربعاء . واسم ولده ناصر الدين الحسين سمي جدّه واسم بنتيه سارة امرأة شهاب الدين احمد ابن زين الدين . فلما توفي تزوّجها جمال الدين احمد بن صلاح الدين خليل العراموني . ونجيمة امرأة جمال الدين بن ظهير الدين علي الرمطوني

ذكر الامير جمال الدين محمد بن زين الدين صالح

وهو اوّل اولاد زين الدين كان شابًا حسنًا ذا عقل ودين . وقد رأيت بخط جدّه ناصر الدين انّ محمّدًا هذا نشأ نشوءًا حسنًا ولم يُعرف لهُ جهل ولا صبوة . وكان جدّهُ كثير المحبة لهُ شديد الاغتباط به كتب لهُ مكتوبًا بالملّيتين المتصتين وهما اوّل عمارة ناصر الدين شمالي الحارة وما يُعرَف بهما وزوّجهُ بست الجميع بنت سيف الدين غلّاب الرمطوني وزوّج معهُ اخاهُ علاء الدين وعمل عرسهما في يوم واحد ودعا اليه والي صيداء ووالي بيروت وغيرهما وكان عرسًا عظيمًا وفرح بهما جدّهما ناصر الدين لأنهُ كان كثير السرور باولاد ولده زين الدين

ورأيتُ لجمال الدين محمّد المذكور كتابةً حسنة وانّما كانت اخلاقهُ احسن . مولدهُ في الثلث الاوّل من ليلة الاربعاء الحادي عشر من ذي الحجّة سنة سبع وعشرين وسبعمائة (١٣٢٧ م) . ووفاته رحمهُ الله (97^ب) سنة تسع واربعين وسبعمائة (١٣٤٨ م) في حياة جدّه ناصر الدين . واولاده ناصر الدين محمّد سمي ابيه وفاطمة امرأة ظهير الدين علي بن جواد الرمطوني . ووجد عليه جدّه وجدًا عظيمًا ورثاهُ بقصائد (١) . وكانت وفاة شجاع الدين بن حتي وفتح الدين محمد بن سعد الدين خضر وجمال الدين محمّد في مدّة متقاربة كما تقدّم ذكر ذلك وكلٌّ منهم كان عزيزًا على ناصر الدين (98^أ)

١) هنا في الاصل قصيدتان لناصر الدين تبتدئ الاولى بقوله :
اعيناي جودي بالبكا بباح فالخطب اعظم ان تكنَّ شحاح (؟)
والثانية بقوله :
قد كان في فقد ابن العم والولد ما أمَّ القلب مني واقرح الكبد (؟)
وابياتها مختلة الوزن والاعراب كما ترى فلم نرَ في اثباتها فائدة

ذكر اخيه علاء الدين عليّ بن زين الدين صالح

هو الثاني من اولاد زين الدين كان لقبـهُ اوَّلًا مظفَّر الدين. وكان حسن الهيئة زائد الحشمة وافر العقل ذا كرم ومروءة وقيل أنهُ لم يكن في اخوتهِ احسن شكلًا منهُ. وكذلك كان سعد الدين خضر والد ناصر الدين مشهورًا بحسن الشكل. وكان علاء الدين المذكور يُحسن التجمّل في ملبوسهِ وآلة مركوبهِ وترتيبهِ في حشمتهِ. زوَّجهُ جدهُ ناصر الدين مع اخيه جمال الدين وعمل عرسهما في يوم واحد كما سبق في العشر الاوسط من جمادى الآخرة سنة سبع واربعين وسبعمائة (١٣٤٦ م). وتزوَّج علاء الدين لؤلؤة بنت خاله عزّ الدين جواد بن علم الدين الرمطوني وهي امرأتهُ الاولى وام ولدهِ بدر الدين حسن ثم توفيت وتوفي اخوهُ جمال الدين فتزوَّج امرأتهُ وهي ستّ الكلّ بنت خاله سيف الدين غلّاب الرمطوني وهي امّ باقي اولادهِ

وكان مولد علاء الدين ليلة الجمعة الثاني من شهر صفر سنة ثلاثين وسبعمائة (١٣٢٩ م). ووفاتهُ بمدينة بيروت الظهر من نهار الجمعة الثامن من شهر المحرَّم سنة اثنتين وستين وسبعمائة (١٣٦١ م). وحُمل (٩٨) الى اعبيه ودفن يوم السبت بالتربة

اسم ولدهِ بدر الدين حسن. ووفاتهُ الاولى خاتون امرأة ابن عمّها علم الدين سليمان بن شهاب الدين احمد بن زين الدين. ثمَّ بعد وفاة علم الدين تزوَّجها ناهض الدين حمزة بن فتح الدين محمَّد بن سعد الدين. والثانية دية امرأة سيف الدين غلّاب ابن ظهير الدين عليّ بن جواد. والثالثة حسنة امرأة بدر الدين حسن بن عماد الدين موسى بن يوسف بن زين الدين بن عليّ العراموني. ثمَّ بعد وفاتهِ تزوَّجها ناصر الدين الحسين بن تقيّ الدين ابرهيم بن ناصر الدين الحسين

ولمَّا توفّي علاء الدين المذكور اخرج نائب الشام بيدمر اقطاعهُ لسعيد بن عيسى التركماني فلم يقم بالدرك فكتب محضرًا بغيبتهِ تاريخهُ شهر ذي الحجة من سنة اثنتين وستين وسبعمائة (١٣٦١ م). ثمَّ بعد ذلك استرجعوا اقطاعهُ باسم ولدهِ بدر الدين حسن. وجهاتهُ ادفون ونصف عين حجيّة ونصف الفسيقين ونصف شطرا اخذوهُ من عليّ احد بني ابي الجيش (ستأتي البقيَّة)

السفر العجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريتو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل السابع

في السفر على الجمد

ولمَّا كانت الساعة الثامنة صباحاً بينما الجوّ مكفهر بالغيوم والبرد قارس قرساً شديداً كنت ترى في الشِّعب المؤدّي الى مضايق شيلوكوت مزلقة يجرُّها كلبان وعليها مسافر ملتحف بالفراء الثقيلة من رأسهِ الى قدمهِ وامامها دليلان من الهنود يسير خلفهما شرذمة من الكلاب تركض من غير ترتيب وبعضها يسبق بعضاً فينتج عن ذلك انها كانت تشتبك في الحبال التي رُبطت بها المزلقة. ومن ثمَّ كان الدليلان مضطرّين من مدَّة الى مدَّة ان يشتغلا بفكّ الحبال واعادتها الى سابق حالها تيسيرًا لسير المزلقة. وفي بعض الاحيان كانت الكلاب تشمّ في اثناء السفر ريح الثعالب فتخرج عن الطريق ساعةً في طلبها دون ان يقدر الهنديان على ردعها

امَّا المزلقة فكانت تمشي على الجمد بسرعة الَّا انهُ كثيرًا ما كان يعرض لها اثناء الطريق بعض الموانع فتعوقها وتنقلب براكبها فتلقيهِ على مسافة بضعة امتار في الثلج. وما كانت تلك الموانع سوى ركامات من عظام المئات من البشر الذين قصدوا بلاد الذهب فماتوا في الطريق امَّا جوعاً وإمَّا بردًا. ومع ذلك فان هذه المشاهد المحزنة قلَّما كانت تؤثّر في الذين يذهبون بعدهم لان حبّ الذهب يعمي البصيرة ويطوّح باصحابهِ الى المخاطر دون خشية من خطر الموت

ولا تزال مزلقة المسافر تسير على هذه الكيفيَّة ساعات طوالًا دون ان يعوقها عائق سوى ما تقدَّم الالماع اليهِ من الجثث البشريَّة التي تغطيها الثلوج

ولا يجد المسافر كيفما التفت يمنةً او يسرةً سوى ثلوج بيضاء على مدى البصر. وعلى تلك الارض كلها يسود السكوت المحزن فلا يُرى طير في الهواء ولا يُسمع صوت وحش ولا تشاهد نبتة خضراء فهناك الموت كل الموت

وزد على ذلك انهُ لا تمضي مدَّة حتى تزيد الطريق ضيقاً ووعورةً فيلتزم المسافرون ان يتسلقوا الصخور ويهبطوا اقصى الشقوق والصدوع ويجتازوا المهاوي دون أن يجدوا أثر اقدام على الاطلاق

واذ ذاك يضطرون الى ترك الزالق وشأنها ويربطون بعضهم بعضاً بحبال شديدة ويتقدمهم في هذه الطريق دليلهم من الهنود وبيده فأس ليفتح لهم ممرًّا في الجليد وجميعهم يتبعونهُ واضعين أرجلهم حيث وضع رجلهُ. والويل حينئذٍ لمن تزلّ بهِ القدم فانهُ يهبط الى الهاوية وربما جرَّ معهُ كل رفقائهِ الى الموت. وحينئذٍ يزيد السير عناءً وبطئاً والبرد شدَّةً وقوساً فضلًا عن ان البصر ينبهر ببياض الثلوج والمسافر يشعر في كل دقيقة بتزعزع الارض تحت قدميهِ

امَّا الهنود فانَّهم يغتنمون هذه الفرصة الحرجة ويطلبون من المسافرين زيادة في الاجور ويتوعدونهم بمغادرتهم في تلك المخاطر اذا لم يرضوهم فيضطرّ المسافرون حينئذٍ الى اجابة مطاليبهم بتمامها لمعرفتهم أنهم اذا تركهم الهنود ماتوا لا محالة

وبعد ان يمشي المهاجرون وقتاً طويلًا ينهكهم التعب وتخونهم القوة وتتسكَّ منهم الركب ومع ذلك فان ادلاءهم من الهنود لا يدعونهم يتوقفون نظرًا لما هنالك من المخاطر الكثيرة. وغاية ما كانوا يجيبونهم اليهِ هو أنهم كانوا يأذنون لهم في أخذ النفس يسيرًا بين كل ربع ساعة من المشي ثم يستأنفون السير بهم كالعادة

وأخيرًا وصل المهاجر الى المحل الذي كان الادلاء يشيرون اليهِ بالاصابع فوقع على الارض كالميت من فرط العناء ولكن الهندي تقدَّم اليهِ وصبَّ في فيهِ شيئاً من ماء الحياة (العرق) من بطة معهُ فما لبث ان فتح عينيهِ وبعد هنيهةٍ جلس فزحف على الركب الى حذاء صخر في سفح جبل شاهق. ولم يكن بدٌّ من قلب الصخر المذكور لاجل التمكن من السير فعمل الهندي على قلبهِ وتوصَّل بعد التعب الى وطرهِ فانقلب الصخر وتدحرج في أوَّل الامر ببطء لكنهُ كان يزيد سرعةً على قدر تقدُّمهِ في الهبوط فكان يقفز في الهواء بقوة وكلما وقع على صخر آخر تطاير الشرر لامعاً من ظلمة الوادي. وما زال بعد ان غاب عن البصر يُسمع صوتهُ واقعاً على صخر بعد صخر الى ان سُمع أخيرًا دوي عظيم دلَّ على أنهُ وقف في مكان معلوم

امَّا الهنود فناموا في المحل الذي كان الصخر مرتكزًا فيهِ وامَّا المهاجر المسكين فكاد يموت من الجوع وهو يترقَّف بردًا ولم يكن يستطيع ان يجد نارًا ليستدفئ او يغلي شيئاً من المشاريب القويَّة في تلك الناحية المقفرة. وهكذا اضطرَّ الى الاكتفاء بقطعة من الجامبون المدخَّن مع قليل من البسكوتي. امَّا الكحول القليل الذي اجتلبهُ

فكان قد انقذهُ لإذابة الجمد الذي تناولهُ اطفاء لعطشهِ المحرق

وبعد هذه الاكلة الخفيفة تمدَّد الماجر على التربة المتجمدة وكان الهنود قد ناموا ومع انهُ كان منهوكاً من التعب لم يستطع في باديء الامر رقاداً ولكنهُ اغفى اخيراً مدَّة يسيرة من الزمن ثم استيقظ بعدها وهو يسمع صوتاً منكراً فاصاخ ليتأكَّد هل الصوت حقيقي ام تخدعهُ أذناه الّا ان الصوت كان قد قوي ولم يبقَ شكٌّ في حقيقتهِ. وكان الهنود اذ ذاك نياماً فصاح بهم لما افاقوا فكرَّر الصياح فلم يستيقظوا فدنا منهم وهزَّهم بعنف بيديهِ المرتجفتين بردا ففتحوا عيونهم وما كادوا يسمعون الصوت حتى طارت نفوسهم شعاعاً وصرخوا مرتعبين واخذوا يشيرون الى الجبل اشارة من قطع الرجاء من الحياة. لانهم عرفوا ان الصوت متسبّب عن تدحرج قطعة ثلج من اعلى الجبل تزيد ضخامة وعظمة بمقدار سقوطها وما كان الّا كلمح البصر حتى وقفوا جميعاً خلف المتجاة التي التجأوا اليها. امَّا قطعة الثلج فكانت تنزل بعزم شديد. ولمَّا انتهت اخيراً الى قرب المحل الذي كان قد لجأ اليهِ الماجر مع الهنود قفزت من فوقهم دون ان تضرّهم وهبطت الى قعر الوادي حيث سمعت لها زمجرة عظيمة (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

De Re Metrica Hebræorum Disputatio
Auctore P. Niv. Schloegl, O. Cist.
Vindobonæ, 1899 *in*-4 *pp. VIII*-80

بحث في عروض قدماء العبرانيين

مسألة العروض في العبرانيَّة من المباحث التي كثر فيها الجدال بين العلماء المستشرقين منذ خمسين سنة. فمنهم من يزعم انَّ النظم في العبرانيَّة لا يتعدَّى الجناس اللفظي او المعنوي. ومنهم من يريد انَّ للشعر العبراني وزناً وايقاعاً. والبعض يجعلون النظم العبراني في عدد اللهجات والتفاعيل المتساوية. فوضع حضرة الاب شاولغل هذا الكتاب وتقصَّى فيهِ البحث عن هذا الامر واورد اقاويل الاقدمين والمحدثين وتبيَّن ما فيها من الصحَّة والبطلان الى ان ذكر الاصول الراهنة التي رجَّحها في تعريف عروض العبرانيين وبيَّن انَّ بين العبرانيَّة والسريانيَّة توافقاً عظيماً في طرائق النظم وألحقَ ذلك بعدَّة شواهد من الكتاب الكريم قطَّع فيها الشعر العبراني وفقاً لهذه القواعد التي استخلصها. فثنّى

على واضع هذا الكتاب المفيد ونتمنى انتشارهُ بين المستشرقين

كتاب اللمعة الشهيَّة في نحو اللغة السريانيَّة

تأليف الطيّب الذكر السيد اقليميس يوسف داود مطران دمشق على السريان

طبع في الموصل بمطبعة الآباء الدومنيكيين طبعة ثانية منقّحة . مع بعض زيادات

الجزء الثاني عدد صفحاته ٥٣٠

قد اتينا في العام الماضي على وصف الجزء الاوَّل من هذا التأليف النفيس . وقد تصفَّحنا اليوم الجزء الثاني منهُ المنشور حديثًا فوجدناهُ مثل القسم الاوَّل من حيث اتقان الطبع وضبط القواعد وسعة المادَّة . فانَّ صاحبهُ جازاهُ الله كلَّ خيرٍ لم يكتفِ بان ينقّح تأليفهُ الاوَّل بل اضاف اليهِ عدَّة فوائد واصلاحات من شأنهما ان تزيدهُ حسنًا وقد راجع التأليفات الاوربيَّة الجديدة التي نشرها الاوربيُّون في هذه المدَّة الاخيرة فاعمل نظرهُ فيها واستفاد منها بحكمةٍ ورويَّة . وألحقهُ بمجالة ذات ستَّة فصول ضمَّنها ملخَّص علم العروض عند السريان وذكر اشهر شعرائهم . فجاء هذا تحفةً يحقُّ للشرق ان يفتخر بها ويقدّمها لعلماء اوربَّة كتمثال حيّ يشهد لاهل بلادنا بالذكاء . وتوقّد الفهم رحم الله صاحبهُ رحمةً واسعة واثاب حضرات الآباء الدومنيكان القائمين بنشرهِ

درجات الانشاء

تأليف جناب الاديب نجيب حبيقه مدرّس البيان في كليَّة القديس يوسف

طُبع بمطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٩٩ وهو جزءان (ص ١٧٠ و ٣٦٤)

انَّ صناعة الانشاء لمن اوعر الصناعات واصعبها منالًا لا يتمكَّن الراغب من ادراكها ألَّا بعد الزمن الطويل والارتياض المديد فاحبَّ الشاب الالمعي نجيب افندي حبيقة ان ينهج طريقًا للاحداث ليأمنوا فيها العثار . وقد ضمَّن هذا الجزء الاوَّل من كتابهِ تمرينات عديدة شأنها تنبيه افكار الطلبة شيئًا فشيئًا ليضعوا الالفاظ موضعها ويبدلوها من بعضها ويضمُّوا المفردات الى ما يناسبها ويحسنوا اختيار الكنايات والصفات وينظّموا العبارات على مقتضى المعاني . الى غير ذلك من التمرينات الانشائيَّة الجزيلة الفائدة . وقد ألحق هذه الفصول بثلاثة ابواب يقترح فيها على الطلبة انشاءات سهلة من الروايات والرسائل والتعريب

ذلك في قسم التلميذ امَّا كتاب المعلّم فانَّهُ يحتوي على اصلاح الموادّ وتوسيعها

مع الافادات اللازمة لتثقيف عقول الاحداث

هذا واننا لا نجهل ان كتاباً مثل هذا لا يبلغ كمالهُ الّا بعد الاختبار الطويل وعليهِ فانَّ المؤلف يشكر سلفاً كلَّ الاساتذة على الافادات والملاحظات التي يتكرَّمون بها عليهِ لتحسين تأليفهِ في طبعة جديدة

كتاب ابداء الناموس

في اخصّ فرائض عامَّة الاكليروس

للشماس اسطفان ضوء البتروني تلميذ مدرسة عين ورقة

الجزء الاوَّل عدد صفحاتهِ ٢٨ طبع في مطبعة الارز بجونية

هو كرَّاس مفيد ضمَّنهُ صاحبهُ قسماً من فروض الاكليروس ليتقدَّسوا بها نفوسهم ويقوموا بخدمة رعاياهم. كتبهُ صاحبهُ الفاضل بعبارة سهلة واستطرد فيهِ الى ذكر عدَّة امور لا يستغني عن معرفتها من اقامهم الله في كنيسته رعاةً واشعبهِ قادةً لئلّا يكونوا على حسب قول الرب كعميان يقودون عمياناً فيسقطوا كلهم في الحفرة

هدايا أُرسلت الى إدارة المشرق

١ اعمال الديوان السرّي المنعقد في اليوم ٢٨ من شهر تشرين الثاني سنة ١٨٩٨ الذي فيهِ اثبت قداسة لاون الثالث عشر السيد اغناطيوس افرام رحماني بطريركا انطاكيًّا على طائفة السريان ومنحهُ الدرع المقدَّسة. طبع في رومية باللاتينيَّة والعربيَّة

٢ خطبة القاها السيد انبا اغناطيوس اسقف تيبا والصعيد يوم تجليس غبطة البطريرك الكاثوليكيّ انبا كيرلُس الثاني على الكرسي الاسكندري. طبعت في المطبعة المرقسيَّة الكاثوليكيَّة في القاهرة

٣ بحث في الآية اليونانيَّة المتضمنة قول الرب لليهود (يوحنا ٨ : ٢٥) « انا ذلك الذي كلَّمتكم عنهُ منذ البدء » للاب أليار كندمين اليسوعي ل . ش

شذرات

واسطة لمنع الرطوبة عن الحائط اضف ليتر ملح عادي الى ليتر من الكلس المطفأ والصفّي جيدًا وضع ذلك في اربعة ليترات من الماء ثم اغلِ المزيج على النار وانزع الرغوة وخذ ما تبقّى من هذا المزيج واضف الى كل ليتر منهُ

نحوًا من عشرين غرامًا من الشبّة و ١٥ غرامًا من البوتاس ومائتي سنتيمتر من الرمل الدقيق او شيئًا من رماد العظام وبعد ذلك اطلِ الحائط بالمزيج المذكور فتمتنع الرطوبة

واسطة للنسيج حتى لا ينفذهُ الماء — اذب ٥٠٠ غرام من الشبّة في ١٥ ليترًا من الماء ثم اذب ٥٠٠ غرام من خلات الرصاص في نصف ليتر من الماء. ضع المزيجين في اناء واحد حتى اذا صفا تغمس فيه الثياب فلا يعود ينفذها الماء

واسطة لمنع الورق والقماش وغيره من الحريق — اولًا خذ اربعة اجزاء من البورق و ٣ اجزاء من سلفات المنيزيا واذبهما في عشرين جزءًا من الماء. وبعد ذلك اغمس ما تريد وقايته فتأمن اشتعاله اذا مسّته النار

حلّ المسألتين الحسابيّتين — اتانا حلّ المسألتين الحسابيّتين المدرجتين في العدد السادس عشر من المجلّة بطريقتي الجبر والحساب من قلم حضرة الاب جبرائيل رزق مرهج. ووردنا حلّ بطريقة الحساب فقط لسؤال الخواجا يوسف عيني القدسي بقلم الاديب شكري افندي حوًا فارجأنا الحلّين الى العدد الآتي لضيق المقام

أسئلة وأجوبة

س سألنا احد الادباء من يافا: في اي سنة ابتدأ استعمال الترجيلة والتبغ في هذه البلاد؟ وكيف او على يد من وصلت هذه العادة؟

زمن دخول التبغ في الشرق

ج نجيب انهُ لا يُعرف بالتدقيق زمن دخول التبغ في بلاد المشرق ولا كيفيّة وروده. على ان هذا الزمان لا يمكن ان يكون بعيدًا عن تاريخ دخول الدخان في الاقطار الاوربيّة اي عن سنة ١٥١٨ التي فيها أُرسلت الى قرلس الخامس بزور التبغ من اميركة. فان تواريخ السلاطين العثمانيين تخبرنا ان السلطان الذي جلس على تخت الملك منذ سنة ١٦٢٣ م منع منعًا شديدًا استعمال التبغ في مملكته

س سألنا احد قرّاء المشرق في بغداد: ١ هل وردت لفظة الجَلَد بمعنى الرقيع اي firmament في كتب لغة العرب. فان الجَلَد مذكورة في سفر التكوين وفي محيط المحيط وكل من اخذ عنهما ولم اجدها في معاجم العرب بهذا المعنى. ٢ هل ورد في كلام الكتبة المجيدين لفظ الصُدفة بمعنى الاتفاق اي hasard او هل هذا اللفظ من

مخترعات العامة. ٣ً للعبرانيين اصطلاحات اشاريّة تدلّ على التجويد في قراءة التوراة. فهل لكم ان تذكروا لنا زمن دخولها عندهم وعدد هذه العلامات واسماءها ومنزلتها من التجويد وممّن اخذوها

١ لفظة الجَلَد بمعنى الرقيع

ج نجيب على الاول ان استعمال لفظة الجَلَد بمعنى الرقيع ضرب من المجاز المستحسن. وهي توافق موافقةً تامّةً معنى كلمة الرقيع العربيّة و רקיע العبرانيّة و ܪܩܝܥܐ السريانيّة و στερέωμα اليونانيّة. وهي مصدر جَلُدَ بمعنى «كان ذا صلابةٍ»

٢ لفظة الصُدفة

نجيب على الثاني ان لفظة الصدفة بالمعنى المذكور اي hasard وان لم ترد في المعاجم فقد استعملها بعض كتبة العرب المشهود لهم بالبراعة ولعلّنا في فرصة أُخرى نأتي بنصّ كلامهم

٣ قوانين التجويد في القراءة العبرانية

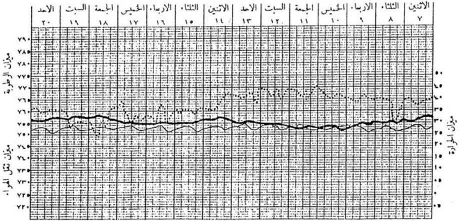
نجيب على الثالث ان تاريخ علامات التجويد عند اليهود غير معروف معرفةً يقينيّة. ألّا انهُ قد اجمع العلماء المستشرقون على ان ابتداء ظهور هذه الاشارات لا يرتقي فوق القرن السادس بعد المسيح وانهُ لم يتمّ هذا الاختراع الّا في غضون القرن التاسع. وقيل ان العلماء الذين تجشّموا هذا الشغل الشاغل اقتفوا بعض الاقتفاء معالم السريان الذين باشروا تدوين قوانين تجويدهم منذ القرن الخامس. والله اعلم

واماً عدد علامات القراءة العبرانيّة واسماؤها ومنزلتها من التجويد فالجواب على كل ذلك يقتضي تحرير مقالة مسهبة لا محلّ لها في هذا الموضع

س سألنا الاديب ابرهيم عبد الجليل من عندقت (عكّار): الافادة عن العدد الرابع من المزمور ١٤٨ وهو: «سبّحيه يا سماء السماوات ويا ايتها المياه التي فوق السماوات» فكيف توجد المياه فوق السماوات والماء هو بالكرة الارضيّة؟

ج جوابنا ان ذكر المياه التي فوق السماوات قد ورد لاوّل مرّة في الفصل الاوّل من سفر التكوين عد ٧ حيث قيل «فصنع الله الجَلَد (اي الرقيع كما مرّ قبيل ذلك) وفصل بين المياه التي تحت الجَلَد والمياه التي فوق الجَلَد» وبناء على هذا النصّ فالمراد بالمياه التي فوق الجلد انما هو الغيوم والسُحُب التي تظهر للعين كأنّها تعلو الرقيع

قائمة للآثار الجوّية من ٧ الى ٢٠ آب ١٨٩٩



انَّ الخطَّ الضخم (ــــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطَّ الرفيع المتابع (ــــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) أمَّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر المليمترات